# الأطفال الكادحون

د. أحمد عبد الله رزة





# الأطفال الكادحون

## ظاهرة عمل الأطفال في مصر

# الأطفال الكادحون

# ظاهرة عمل الأطفال في مصر

د/أحمد عبد الله رزة



# الأطفال الكادحون

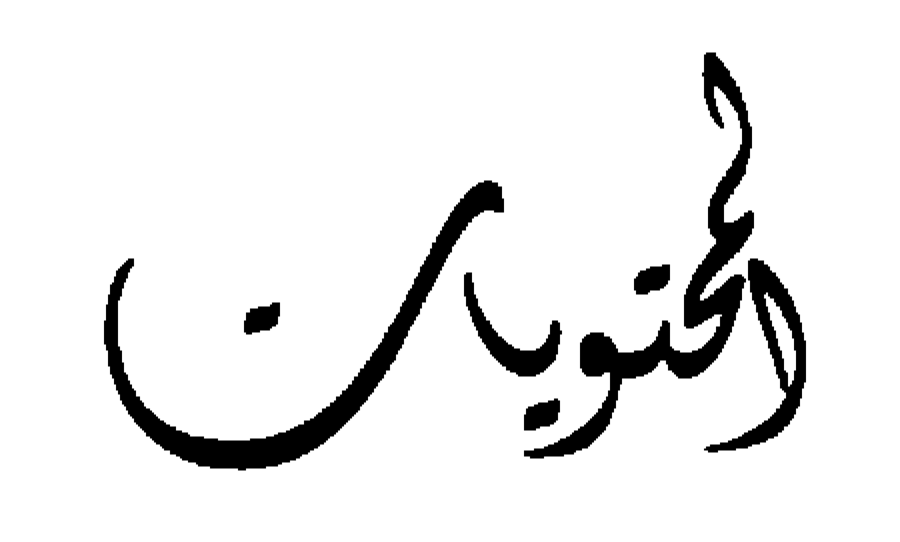
# ظاهرة عمل الأطفال في مصر

د/أحمد عبد الله رزة




القاهرة ـ مصر

www . elkalema . com
Email:elkalema@eis.com.eg
الجمع والإعداد في مكتبة دار الكلمة
تصميم الغلاف : چوزيف يؤنس
رقم الإيداع: ١٠٨١٧ / ٢٠٠١
**I.S.B.N.** 977-6010-26-1
First Published in 2001



# إهداء الطبعة الأولى

إلي نوسة (فاطمة السايس) ..

الياسمينة الصغيرة ذات العشرة أعوام ..

التي صعدت روحها إثر حادث أليم

فور أن انتهت من العمل

في مزارع الياسمين !!

# إهداء الطبعة الثانية

إلى الكبيرين:

الدكتور محمود عبد الفضيل

والدكتور إبراهيم سعد الدين

عبدالله اللذين آزرا كدحي يوماً

فاستحقا عرفاني دوماً

# تصدير

تحتوي الصفحات التالية علي أول إصدار «لمركز الجيل» باللغة العربية حول موضوع «عمل الأطفال». وقد سبق للمركز إعداد بحث كبير باللغة الإنجليزية حول الموضوع. كما سبق للباحث إجراء بحث مبكر حول هذا الموضوع منذ عقد ونصف من الزمان، كان فاتحة لبحوث عمل الأطفال في مصر. وقد نشرت منظمة العمل الدولية ذلك البحث المبكر باللغات الإنجليزية والأسبانية والفرنسية. ولذلك استشعرنا أن من واجبنا تقديم هذه البحوث باللغة العربية لفائدة أصحاب الشأن، لا للمتخصصين فقط وإنما لعامة القراء المرجو أن يهتموا بهذه الظاهرة وأن ينشروا الوعي بها لكي تتم معالجتها في النهاية. وقد سبق للمركز نشر كراسة بعنوان «أطفال الشوارع يتكلمون».

ويأتي ذلك اتساقاً مع عناية «مركز الجيل» بقضية «الطفولة المحرومة» حيث يواصل أبحاثه حول «الطفولة العاملة»، ويحتفظ بقاعدة معلومات عنها في مصر والعالم، كما يشارك في النشاط الدولي لمكافحة عمل الأطفال. لكن الأهم من ذلك أنه قد أسس في إطار مشروعات المركز مشروعاً خاصاً لرعاية الأطفال العاملين، لكي ينطلق من

«دراستهم علمياً» إلي «خدمتهم عينياً». وهذا هو «مشروع الرعاية الجزئية للطفولة العاملة».

ولا تحتوي هذه الصفحات علي النصوص الكاملة لتقارير الأبحاث التي أجراها الباحث والمركز بمعاونة فريق من الباحثين. وإنما تكتفي بعرض «قلب الموضوع» الخاص بالأطفال العاملين مباشرة دون التطرق «لخلفيات الموضوع» التي تشمل أموراً مثل : وضع الاقتصاد النامي لمصر، قضية الفقر وتوزيع الثروة، وضع التعليم والتسرب منه، أوضاع الإنتاج في الصناعات التي يعمل بها أطفال، نظام القيم الاجتماعية والثقافية ... الخ. وكلها أمور هامة جري تناولها في أبحاث المركز ومتاحة لاطلاع من يرغب في المزيد من التعمق في الموضوع.

وأخيراً ينتهز الباحث فرصة نشر هذا العمل لتكرار شكره للزملاء الذين صحبوه في رحلة دراسة ظاهرة عمل الأطفال في مصر في مرحلة أو أخري عبر عشر سنوات، وهم : أختي المرحومة برلنتي عبد الله، والسيدة ابتهال رشاد، والأستاذ سعيد المصري، والدكتور هاني دانيال واصف، والدكتورة شهرت العالم. فلهم جميعاً خالص التقدير. وللقارئ الكريم خالص التمني بأن يشاركنا الاهتمام بهذا الموضوع المعبر عن ظاهرة من ظواهر الحرمان الإنساني لصغار البشر .. وأن يحاول مشاركتنا عمل شئ يلبي نداء الواجب الإنساني، والاجتماعي، والوطني .. انطلاقاً من باب «العلم» المفروض أن يكون خادماً «للإنسان».

ولا يفوتنا أن نتوجه بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور أشرف البيومي الذي بادر بتعريفنا بـ «المجموعة الدولية لعمل الأطفال» (IWGCL) والتي تم إجراء بحث عينة منتصف التسعينيات بالتعاون معها.

**المؤلف**

# ١ ـ دراسة عمل الأطفال في مصر

عند بداية السنوات العشر ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥، لم تجري بمصر دراسة مستفيضة لعمالة الأطفال فيها. بل كانت توجد فقط في بعض الدراسات إشارات عابرة عن الأطفال الذين يعملون. وباستثناء دراسة واحدة عن الأطفال [1]، كانت هناك إشارات سريعة عن الأطفال العاملين في الزراعة وذلك في الدراسات الخاصة بالاقتصاديات الزراعية والمجتمع الريفي. أما الأطفال الذين يعملون في القطاع الحضري، فكانت الإشارة إليهم تأتي عادة في الدراسات الخاصة بسيكولوجية المراهقين وانحراف الأحداث. ووفقاً للدراسات السيكولوجية، يعامل الأطفال العاملون كصبية وكأحداث، مع ما يفيد ضمناً معني الانحراف (التهرب من المدرسة، علي سبيل المثال)، أو الأعمال الإجرامية (ما يقترب من السمات الشائعة عن أطفال الشوارع). ولقد مضي وقت طويل حتي بدأت دراسة عمل الأطفال في مصر من منظور سوسيولوجي منتظم، فلم تبدأ مثل هذه الدراسة قبل بداية العقد ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥.

---

(1) M.H. Nagi, Child Labour in Rural Egypt, Rural Sociology, Vol. 37, No. 4, 1972.

لقد كان لنا شرف افتتاح حقل البحث المفصل في هذا المجال بدراستنا حول عمل الأطفال في مدابغ مصر القديمة (٢). ولقد كانت الألفة بين الباحث وموقع البحث خير عون علي إجراء البحث نفسه، إذ يعيش الباحث في نفس الحي. وفي العادة يشعر أصحاب الأعمال بحساسية شديدة تجاه أية تساؤلات حول سلوكهم غير القانوني المعروف، ولكن بصورة ما أمكن التعامل معهم لتخفيف حساسيتهم ومناشدتهم تقديم العون. كما واجه الأطفال وأسرهم شئ جديد اسمه «البحث» في ظروفهم المعيشية. وقد أمكن في النهاية استخلاص معلومات أصيلة يمكن أن يكون البعض منها ساري المفعول لزمن طويل. لقد انتهي البحث في ديسمبر ١٩٨٥، ولكن لم تنشره منظمة العمل الدولية (باللغة الإنجليزية) إلا عام ١٩٨٨ (١٩٩٠ باللغة الأسبانية) (٣). ومن المفارقة أن الدراسة لم تنشر باللغة العربية إلا في مقال موجز ألقي الضوء علي بعض جوانب

---

(2) Ahmed Abdalla. Child Labour in Leather Tanning in Cairo, in: Assefa Bequele & Jo Boyden (eds.) Combating Child La - bourILO, Geneva, 1988.

(٢) راجع، علي سبيل المثال، تقدير ذلك بواسطة الدكتور نادر فرجاني في دراسته «عمل الأطفال في البلدان العربية»، المجلس العربي للطفولة والتنمية، يوليو ١٩٩٣ .

(٣) هناك نسخة فرنسية منفصلة نشرها المحرران تحت عنوان :
L'enfant au Lravail, Fayard, Paris, 1990.

الموضوع [٤] . ولكن بعد هذا المفتتح بدأت الحركة تدب في هذا المجال مع الشرارة التي اندلعت بظهور هذه الدراسة الأولية. لقد بدأت قضية عمل الأطفال في الظهور كبند فرعي في برامج المؤتمرات القومية والدولية حول قضية الأطفال بشكل عام (علي سبيل المثال، الورقة البحثية التي قدمتها الدكتورة علا مصطفي حول «الإساءة إلي الأطفال في الورش الصناعية»، وذلك في المؤتمر العلمي الثامن الذي عقدته كلية الطب بجامعة القاهرة حول «انتهاك الأطفال» في نوفمبر ١٩٩١، والورقة البحثية التي قدمها بالإنجليزية الدكتور عادل عازر حول «عمالة الأطفال في إطار حقوق الطفل»، وذلك في المؤتمر الذي انعقد في الإسكندرية في نوفمبر ١٩٨٨ حول مستقبل اتفاقية هيئة الأمم المتحدة لحقوق الطفل).

كما عقدت في القاهرة، علي مدي السنوات العشر ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥ سبع ندوات كرست خصيصاً لمناقشة موضوع عمل الأطفال بالتحديد.

وهذه الندوات هي :

١ ـ ندوة «عمالة الأطفال»، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع منظمة اليونيسيف في

---

(٤) أحمد عبد الله، عمل الأطفال وفجاجة الاستغلال الاجتماعي، مجلة القاهرة، سبتمبر ١٩٩٢ . ونعاود في الفصل الثالث من هذا الكتاب نشر هذا الموجز باللغة العربية دون النص الأطول المنشور باللغات الإنجليزية والأسبانية والفرنسية.

يوليو ١٩٨٦ [٥] .

٢ ـ ندوة «نحو سياسة متكاملة لعلاج ظاهرة عمالة الأطفال»، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع منظمة اليونيسيف، مايو ١٩٩٢ .

٣ ـ ندوة «عمل الأطفال في البلدان العربية»، المجلس العربي للطفولة والتنمية بالاشتراك مع منظمة العمل الدولية، ديسمبر ١٩٩٣ .

٤ ـ ندوة «مكافحة عمل الأطفال في العالم العربي»، المجلس العربي للطفولة والتنمية بالاشتراك مع منظمة العمل الدولية، ديسمبر ١٩٩٤ .

٥ ـ ندوة «الحد من عمالة الأطفال»، وزارة العمل، مارس ١٩٩٥ .

٦ ـ ندوة «الحد من عمالة الأطفال»، وزارة العمل، سبتمبر ١٩٩٥ .

٧ ـ ندوة «الحد من عمالة الأطفال»، وزارة العمل، ديسمبر ١٩٩٥ .

وقد بدأ الاهتمام الأكاديمي بالموضوع يحظى بشئ من الدعم من وسائل الإعلام، والتي كانت نادراً ما تعالج

---

(٥) راجع التقرير الصادر عن هذه الندوة باللغة الإنجليزية : المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع منظمة اليونيسيف، يوليو ١٩٨٦ .

هذه القضية من قبل. وقد أثيرت القضية علي نحو خاص عام ١٩٨٦ بعد حادث حي الجمالية بالقاهرة (وهو موقع أحداث ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة)، حيث تم اكتشاف وجود عدد من الأطفال المحبوسين والمجبرين علي العمل في أحد المخابز [٦] . ومنذ ذلك الحين، انتشر ظهور عدد من الكتابات الصحفية حول موضوع عمل الأطفال [٧] . حتي أن صحيفة «الأهرام ويكلي» باللغة الإنجليزية قد نشرت صفحة كاملة عن هذا الموضوع في عددها الصادر يوم ١٢ يناير ١٩٩٥ .

كما بدأت المواد السمعية ـ البصرية أيضاً في الظهور في باكورة التسعينيات، والمعروف منها حتي الآن هو ما يلي [٨] :

١ ـ برنامج تليفزيوني في أواخر الثمانينيات (تضمن مقابلة مع نبيل عثمان، الذي أصبح فيما بعد رئيساً لهيئة الاستعلامات). وفي ديسمبر ١٩٩٥ قام فريق تصوير تليفزيوني ـ بمساعدة من «مركز الجيل» ـ بتصوير موقع عمل الأطفال في فخارية مصر القديمة لإعداد مادة توعية

---

(٦) راجع مقال الكاتب : الأطفال الكادحون، جريدة الأهالي، ٢٣ / ٧ / ١٩٨٦ .

(٧) كافة هذه الكتابات مجموعة في أرشيف «مركز الجيل».

(٨) هذا بالإضافة إلي الفيلم الوثائقي الذي أخرجته عطيات الأبنودي في فترة مبكرة (السبعينيات) بعنوان «حصان الطين» ويحتوي علي إشارة لعمل الأطفال (بجانب الأحصنة) في ضرب الطوب الني بالريف المصري.

تليفزيونية بقضية عمل الأطفال.

٢ ـ إحدي جلسات البرنامج التليفزيوني «البرلمان الصغير»، الذي يعده نادر أبو الفتوح. حيث ناقش الأطفال أعضاء البرلمان الصغير موضوع عمالة الأطفال في شكل حوار برلماني [٩] .

٣ ـ فيلم وثائقي مدته ٢٣ دقيقة بعنوان «ومازال الدخان يتصاعد» من إخراج عصام حشمت ـ المركز القومي للسينما، إنتاج عام ١٩٩٣ . ويشير إلي الدخان الأسود المتصاعد من أفران الفخارية بمصر القديمة، حيث يعمل الأطفال ويستنشقون هذا الدخان !.

٤ ـ فيلم وثائقي مدته ٨ دقائق بعنوان «قبل الأوان»، من إخراج تغريد العصفوري [١٠] ـ المركز القومي للسينما، عام ١٩٩٣ . ويحتوي لقطات للأطفال الذين يعملون في صناعات الزجاج، والفخارية، وقطع الحديد.

٥ ـ قسم خاص بمصر في فيلم وثائقي مدته ساعة، بعنوان «الطفولة المكبلة» «L'enfance enchainee» وقد

---

(٩) بمشاركة الأطفال أعضاء البرلمان الصغير، وبناء علي دعوة من المجلس العربي للطفولة والتنمية، قام الكاتب بإلقاء محاضرة حول «عمل الأطفال في مسلسلات وأفلام التليفزيون»، وذلك في مهرجان القاهرة الدولي لسينما الأطفال في ٢٢ / ٩ / ١٩٩٣ .

(١٠) مشروع تخرج المخرجة من معهد السينما ويبدو أن ثمة مشروعاً آخر أعدته لميس الحديدي للجامعة الأمريكية حول نفس الموضوع.

قام بإخراجه هيوبرت دبوا من خلال شركة كابا، باريس ـ ١٩٩٣ بتمويل من منظمة العمل الدولية. ويحتوي لقطات لأطفال المدابغ، والفخارية، والأطفال العاملين في جمع زهور الياسمين في ريف الدلتا. ولم تتضمن النسخة النهائية للفيلم بعض اللقطات المؤثرة التي تم تصويرها (١١).

ماذا عن البحث الأكاديمي والميداني ؟

بعد مرور فترة قصيرة علي البحث الذي أجري علي أطفال المدابغ، أعد الكاتب لمنظمة اليونيسيف دراسة قصيرة بعنوان «نتائج مشاورة مع الأطفال العاملين» (١٢) وقد ارتكزت هذه الدراسة علي حوار مع مجموعة نقاشية مركزة تتكون من سبعة أطفال يعملون في المدابغ. وبعد

---

(١١) هناك مقابلتان لهما دلالة، وتوضحان اختلاف المنطق في النظر لعمالة الأطفال، ولكنهما لم تظهرا بالفيلم الوثائقي. كان اللقاء الأول بين الكاتب وأحد أصحاب الأعمال في الفخارية، أما اللقاء الثاني فكان مع نائب مدير الشركة الكبري التي تستخدم الأطفال في عملية جمع زهور الياسمين. وقد احتوت المقابلتان علي نوع من الصدام الفكري الحاد بين منطقين مختلفين.

(١٢) نشرت كتقرير باللغة الإنجليزية في ·
UNICEF, Consultation on Child Labour in Egypt, July 1986.
وقد تضمن التقرير السنوي لليونيسيف بالقاهرة لعام ١٩٨٦ هذه الدراسة.

ذلك، بدأ اليونيسيف والمعهد العالي للخدمة الاجتماعية التابع لجامعة الإسكندرية في عام ١٩٩١ في دراسة الظروف الصحية، والتغذية، وظروف العمل بالنسبة للأطفال العاملين في منطقة أبو الدرداء الصناعية بالإسكندرية (قام بعمل الدراسات : سامية فهمي، وأحمد أبو طالب، وفكرات الصحن، وآخرون) (١٣) .

ثم وصلت الدراسات الخاصة بعمل الأطفال إلي الذروة من خلال المشروع البحثي المشترك بين منظمة اليونيسيف والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. وكان فريق البحث يضم ١١ عضواً، وعاونهم عدد كبير من الباحثين، وقاموا بدراسة عينة تضم ٥٦٦ طفلاً (من بينهم ٥٣ فتاة) يعملون في الورش الصناعية في مجال ميكانيكا السيارات وما يرتبط بها، والكيماويات، والأفران، والنسيج. وقد غطي البحث ٦ مناطق في ثلاث محافظات (القاهرة، والجيزة، والقليوبية)، وهي التي تشكل القاهرة الكبري. وقد حظت دراسات الحالة لثمانية عشر طفلاً باهتمام خاص. ويعد هذا العمل، حتي الآن، أكبر محاولة لدراسة ظاهرة عمل الأطفال خارج القطاع الزراعي. وقد نشرت نتائج البحث في ثلاثة أشكال تحت عنوان عام هو «عمالة الأطفال في مصر» :

---

(١٣) تمت صياغة التقرير النهائي لهذه الدراسات بعد ذلك بفترة (في عام ١٩٩٤) بواسطة منظمة اليونيسيف والمعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية كتقرير داخلي.

١ ـ قام خمسة خبراء [١٤] من المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بإعداد نسخة كاملة باللغة العربية في عام ١٩٩١ .

٢ ـ قام الدكتور عادل عازر والدكتورة ناهد رمزي، من المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، بإعداد نسخة موجزة متوسطة الحجم باللغة العربية (٢٧٦ صفحة)، وتم نشرها بصورة مشتركة من قبل المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ومنظمة اليونيسيف في عام ١٩٩٢ .

٣ ـ قام نفس الباحثين والناشرين بإعداد نسخة موجزة صغيرة الحجم باللغة الإنجليزية (١٧٦ صفحة) في عام ١٩٩٢ .

وقد أشارت دراسات أخري مختلفة الأحجام إلي تطور الاهتمام بالبحوث الخاصة بعمل الأطفال في مصر. فمن نص فرنسي يعالج الخلفية التاريخية للظاهرة [١٥] ، إلي دراسة منظمة أو كسفام للزبالين في هضبة المقطم بالقاهرة. كما بدأ العمل أيضاً في دراسة حول الورش من خلال المجلس العربي للطفولة والتنمية. وعلاوة علي الأكاديميين والباحثين المتخصصين، استمر أيضاً النشطاء

---

(١٤) عادل عازر، وناهد رمزي، وعزة كريم، وعلا مصطفي، ومنيرة اسماعيل.

(١٥) راجع : Nadia Zibani, Le travail des enfants en Egypte et ses rapports avec la scolarisation, Egypt / Monde Arabe, No. 18 - 19, 1994.

في مجال العمل الأهلي الاجتماعي في دراسة مختلف جوانب الظاهرة [١٦] .

وقد وجد البحث في مجال عمل الأطفال طريقه أخيراً إلي الجامعات. فالرسائل الجامعية الهادفة إلي الحصول علي درجة أكاديمية أصبحت تحتوي علي هذا الموضوع. لقد منحت الجامعة الأمريكية بالقاهرة درجة الماجستير لطالبتين [١٧] في المجال. كما منحت جامعة عين شمس أواخر عام ١٩٩٥ درجة علمية في هذا الموضوع [١٨] . كما تستمر الدراسة في بحوث أخري للحصول علي درجات أكاديمية في نفس الموضوع [١٩] .

ولتقديم موجز حول الإطار العام للبحث في مجال عمل الأطفال في مصر علي مدي السنوات العشر ١٩٨٥ ـ

---

(١٦) علي سبيل المثال : فومية نجيب وسونيا صادق، دراسة أولية حول عمل الأطفال في زرايب عزبة النخل، المركز التجريبي لمعالجة النفايات والتنمية البيئية، ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦ .

(١٧) راجع :

Eftetan Farrag (1990), Child Labour in Cairo : Profiles of Working Boys, and Maissa Hamed (1992), Protected and Creative Learning through Earning : Evaluation of the Wissa Wassef Experience by its Working Children.

(١٨) بحث محمد عبد الرحمن.

(١٩) مثلاً مشروع بحث نادية زيباني لجامعة باريس عن الأسرة وعمل الأطفال في مصر (دراسة أنثروبولوجية).

١٩٩٥، يمكننا تحديد النقاط البارزة التالية :

١ ـ كانت دراسة أحمد عبد الله حول أطفال المدابغ في مصر القديمة هي «الشرارة» التي فجرت دراسة الموضوع في بداية العقد.

٢ ـ بلغت الدراسة نقطة «الذروة» في منتصف العقد من خلال البحث الكبير الذي أجراه عادل عازر، وناهد رمزي، وآخرون، حول الورش الصناعية في القاهرة الكبري. ويكتمل ذلك بالدراسة الميدانية التي أجريت حول الأطفال العاملين في المنطقة الصناعية بأبي الدرداء بالإسكندرية.

٣ ـ أما العمل التركيبي أو جهد «الربط» فجاء في نهاية العقد، من خلال التقرير الذي أعده الدكتور نادر فرجاني للمجلس العربي للطفولة والتنمية تحت عنوان «عمل الأطفال في البلدان العربية» يوليو ١٩٩٣ . والذي تناول فيه الوضع في مصر بين بلدان عربية أخري [٢٠] .

٤ ـ استمر التيار البحثي في التدفق من خلال مختلف الجهود البحثية وازدادت كثافته في النصف الثاني من العقد.

ويبدو واضحاً أن كل ما سبق يشير إلي وجود اتجاه

---

(٢٠) راجع أيضاً التقرير الصادر عن الندوة التي قدم إليها نادر فرجاني تقريره (ديسمبر ١٩٩٣) : المجلس العربي للطفولة والتنمية ـ ديسمبر ١٩٩٤ .

إيجابي للحركة فيما يتعلق بدراسة عمل الأطفال في مصر. ولكن، لتجنب الشعور بتمنية النفس، يجدر إبداء شئ من التحفظ. ذلك أن دراسة عمل الأطفال هي دراسة تهدف بطبيعتها إلي إحداث «تأثير» في مجال الوعي المنتشر والسياسة المتخذة، أي أنها لا تكتمل أبداً حتي تحقق الانتشار وتشكل الضغط المطلوب. وباعتراف الجميع، فقد تم اتخاذ بعض الخطوات في هذا الاتجاه. ولكن الدراسة تظل في سياق الاهتمام النخبوي، مع بعض نقاط الضعف الملحوظة :

١ ـ كافة الطبعات التي ظهرت لنتائج الأبحاث في موضوع عمل الأطفال لم تأخذ حتي الآن شكل «الطبعة الشعبية» الصالحة للتوزيع علي الجمهور العام. ناهيك عن أن كثيراً من هذه النتائج غير مكتوبة باللغة العربية أصلاً.

٢ ـ ينبغي أن تنهض الجامعات بعملية النشر والانتشار هذه، إذ يفترض أنها مكان الالتقاء بين البحث والتدريس. أي تكوين الوعي العلمي بالموضوع بين النخبة المتعلمة. ومع ذلك فهي تشكل نقطة الضعف في سلسلة المؤسسات التي تدرس هذه القضية (بدأ المعهد العالي للطفولة بجامعة عين شمس مؤخراً فقط في الاهتمام بقضية عمل الأطفال).

٣ ـ لم يشكل الباحثون المحليون بعد نواة عملية «لمجموعة ضغط» متماسكة Pressure group . فمن ناحية، هم يعملون أساساً تحت مظلة المنظمات الدولية مثل منظمة اليونيسيف ومنظمة العمل الدولية. وهي

منظمات غير مرغوب لديها، بحكم وضعها، إثارة حفيظة السلطات القومية. ومن الناحية الأخري، فإن المفهوم الخاص «بالالتزام الاجتماعي» أو بضرورة القيام «بنشاط اجتماعي فاعل» هو مفهوم غير سائد بين الأكاديميين الذين يدرسون مثل هذه الظواهر وتغلب عليهم شخصية الباحث للظاهرة من خارجها أو الموظف المتحفظ. وليس ذلك لإنكار مساهمات معينة قدمها الباحثون المحليون في مجال مقاومة عمل الأطفال في بلدهم. إذ مهد البحث العلمي للاهتمام العملي بهذا الموضوع بواسطة الأطراف الحكومية وغير الحكومية التي بدأ يطرد اهتمامها بظاهرة عمل الأطفال. فأصبحت تلك الظاهرة بنداً معلناً في قائمة الأعمال الوطنية مثلما هي كذلك علي المستوي الدولي.

## ٢ ـ ملامح ظاهرة عمل الأطفال في مصر

تعرف مصر فلكلورياً بأنها «هبة النيل». فالزراعة التي تعتمد علي الري من النهر قد بدأت في وادي النيل منذ القديم، ممهدة لنشأة الحضارة الفرعونية وتوحيد الوجهين القبلي والبحري منذ حوالي ٥ آلاف سنة ثم حكم الأسرات التي قامت ببناء الأهرامات. ومع الغياب الفعلي للمطر، كانت هناك حاجة ماسة إلي العمل اليدوي لحفر قنوات الري من مختلف الأحجام، وذلك حتي تصل مياه النهر إلي الأراضي الزراعية. ويصدق نفس الشئ علي قنوات الصرف. ولاستكمال «شبكة القنوات» التي تميز مصر، تجدر إضافة القنوات التي تستخدم كوسيلة للمواصلات. فهل يمكن أن ننسي «قناة السويس» ؟.

إن شبكة مصر من القنوات هي «هبة الفلاحين». فالفلاحون هم الذين يحفرون القنوات، ويحرثون الأرض، ويحصدون المحصول. وفي كل هذه الأعمال هم يصحبون أطفالهم معهم لمساعدتهم. وتتزايد أهمية دور الأطفال بإطراد مراحل عملية الزراعة، إذ أنهم ينتقلون من دور العامل المساعد في البداية (عمليات الحفر والحرث) إلي أن يصبحوا في نهاية الأمر عنصراً أساسياً من عناصر العملية الإنتاجية. فعلي الأقل بالنسبة لبعض المحاصيل مثل القطن، وهو المحصول التقليدي الرئيسي في مصر

يعتبر الأطفال العنصر الأساسي الذي يتولي عملية جنيه. ولا يعد هذا العمل، في إطار نظام القيم الفلكلوري في المجتمع، نوعاً من «عمالة الأطفال» Child Iabour بل هو أقرب لأن يكون نوعاً من «عمل الأطفال» Child work الذي لا يتضمن دلالات تشير لوقوع استغلال علي الأطفال. وهو جزء لا يتجزأ من ذات حياة الفلاحين والبلد. إن اقتراح إلغاء عمالة الأطفال في هذا المجال يماثل دعوة البلد إلي الانتحار. وتعتبر السياسة الواقعية هنا في أحسن الأحوال، هي اقتراح بعض القواعد التي تضمن عملاً أقل خطراً وأكثر مكافأة بالنسبة للأطفال الذين يشاركون في الإنتاج الزراعي بمصر. (وهو ما بدأت السلطات الرسمية مؤخراً بخصوص حظر تعرض الأطفال للمبيدات، خصوصاً مع صدور تقرير عمل الأطفال المصريين في زراعة القطن عن هيئة مراقبة حقوق الإنسان الأمريكية) إن تغييراً نوعياً في اتجاه إنهاء عمل الأطفال هنا لن يحدث إلا علي المدي البعيد، مع زيادة الميكنة في عملية الحصاد، وهو ما يعد أفقاً بعيداً إلي حد ما بالإشارة إلي مدي تخلف الإنتاج الزراعي، ونقص الاستثمار في هذا المجال، فضلاً عن اتساع نطاق الفقر في الريف [١] . ولن يؤثر علي ذلك حتي الاستيعاب الكامل

---

(١) للاطلاع علي خلفية حول الفقر في الريف، راجع الدراسة المبكرة لمحمود عبد الفضيل :

Development, Income Distribution and Social Change in Rural Egypt 1952 - 1970, Cambridge University Press, 1975.

للأطفال في التعليم المدرسي، طالما أن أطفال المدارس في ريف مصر يشاركون أيضاً في عملية جمع المحاصيل التقليدية مثل القطن. ومما يثير المفارقة أنه مع التحول نحو المحاصيل غير التقليدية - مثل الزهور - يشارك الأطفال مرة أخري في عملية الحصاد (٢) .

وطالما أن كل طفل من أطفال المدارس في ريف مصر يعتبر عملياً من العمال الموسميين في فترة الحصاد، فإن عمالة الأطفال في الريف يقصد بها الأطفال الذين يعملون بصفة دائمة في الزراعة. فالأطفال الذين تسربوا من المدرسة، بالإضافة إلي الذين لم يلتحقوا أبداً بالمدرسة، يشكلون قوة العمل الصغيرة من الفلاحين في ريف مصر. وبالتأكيد فإن «العمل الدائم» كمعيار لتحديد من هو الطفل الريفي العامل الذي يتعرض للاستغلال، ينبغي أن يستكمل بخطورة العمل كمعيار آخر، وذلك حتي في حالة أطفال المدارس الذين يعملون بصفة مؤقتة. وبطبيعة الحال، فإن انخفاض الأجر بالنسبة للفئتين المذكورتين يمكن أن يعتبر المعيار الثالث. وإن كان ذلك أمراً تقديرياً صعباً، وذلك بالنظر للنصيب الضمني للمسئولية الاجتماعية المفترضة في حالة الأجور الأعلي المدفوعة للعمال الكبار. وبالإضافة إلي ذلك، يعمل كثير من الأطفال لدي عائلاتهم، أو يقايضون عملهم بين مختلف العائلات

---

(٢) راجع الجزء الخاص بجني زهور الياسمين في مصر في الفيلم التسجيلي «الطفولة المكبلة» :
“ L’Enfance Enchainee”. (Capa Paris, 1993).

من أجل تحقيق فائدة متبادلة بين هذه العائلات.

إن وضع العائلة من الناحية الاقتصادية هو بيت القصيد في إرسال الطفل لسوق العمل بدلاً من المدرسة. وهو ما أكدته مختلف الأبحاث حول هذا الموضوع [٣]. فقد تأكدت الأطروحة القائلة بأن الفقراء هم الذين يرسلون أطفالهم إلي سوق العمل بدلاً من المدرسة بحثاً عن دخل أكبر لمواجهة متطلبات العيش. ففي بحث عمل الأطفال في مدابغ مصر القديمة جاءت إجابات أرباب أسر الأطفال العاملين حول سبب إرسال أطفالهم للعمل علي الوجه التالي :

جدول (١)

أسباب عمل الأطفال في رأي أرباب الأسر

| السبب | نسبة أرباب الأسر |
|---|---|
| احتياج الأسرة للمال | ٩٠ ٪ |
| دخل الأسرة غير مضمون | ٥٦ ٪ |
| لم تقو الأسرة علي تكاليف المدرسة | ٤٨ ٪ |
| رب الأسرة عاطل عن العمل | ٢٠ ٪ |

**المصدر** : أحمد عبد الله، عمل الأطفال وفجاجة الاستغلال الاجتماعي، القاهرة، سبتمبر ١٩٩٣ .

---

(٣) انظر مثلاً دراستنا المبكرة عن عمل الأطفال في مدابغ الجلود بمصر القديمة :

Ahmed Abdalla Leather Tanning in Cairo, in Assefa Bequele and Jo Boyden (eds.), Combating Child Labour, ILO, Geneva, 1988.

إلا أنه يلاحظ هنا أن الأطفال العاملين أنفسهم يميلون للتهوين من اعتبار احتياج الأسرة للمال كسبب لذهابهم للعمل. حيث أقر ٥٠ ٪ من هؤلاء الأطفال بهذا السبب، وكذلك لم تزد نسبة من أقروا بعجز الأسرة عن مواجهة تكاليف المدرسة عن ٧ ٪ فقط. ويشير ذلك إلي أن الطفل العامل يعمد لإقناع نفسه بأن ذهابه للعمل إنما يتأسس علي اختياره الخاص.

ويتأكد المنظور المختلف لدي الأطفال العاملين من نتائج البحث الذي أجراه عادل عازر وناهد رمزي علي رأس فريق من الباحثين. حيث جاءت إجابات الأطفال المبحوثين علي النحو التالي :

جدول (٢)

أسباب الذهاب للعمل في رأي الأطفال

| السبب | نسبة الأطفال |
| --- | --- |
| الفشل في التعليم | ٤٩,٦ ٪ |
| لتعلم صنعة | ٤٥,٢ ٪ |
| لمساعدة الأهل في المصروف | ٣٩,٩٪ |
| للإنفاق علي الذات | ٣٣ ٪ |
| أسباب أخري | ٦,٧ ٪ |

**المصدر** : عادل عازر وناهد رمزي، عمالة الأطفال في مصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية واليونيسيف، ١٩٩١، ص ٣٥، جدول (١) .

وتجدر الإشارة هنا كذلك إلي ملاحظتين :

الأولي : هي أن نسبة من الأطفال إنما تساهم في زيادة دخل الأسرة من خلال العمل لبعض الوقت دون أن تترك المدرسة تماماً (٤٤ ٪ من أطفال عينة المدابغ).

والثانية : هي أنه برغم إسهام الأطفال بعملهم في زيادة دخل الأسرة إلا أنهم ليسوا الوحيدين الذين يوفرون للأسرة دخلاً. حيث لم تزد نسبة من يلعب هذا الدور عن ٢ ٪ من هذه العينة، وإن كان معلوماً أن ثمة من الأسر من يعتمد بالكامل علي عمل الأطفال.

ومع ذلك يلزم التأكيد علي أن «الفقر» الاقتصادي والتعليمي ليس هو المسئول الوحيد عن ظاهرة عمل الأطفال. فثمة عوامل أخري تلعب دوراً وإن كان أضيق نطاقاً. من ذلك نظام القيم الاجتماعية الذي يتقبل عمل الأطفال كأمر طبيعي. وكذلك وجود صناعات وحرف تعتمد تقليدياً علي عمل الأطفال وتقدم حافزاً لاجتذابهم إليها. وأيضاً إهمال بعض الأسر الأمية في تسجيل أبنائها في المدارس عند بلوغهم سن الالتزام (مع تبخر عقوبة عدم الالتزام بالإلزام !). وأخيراً التراخي في تطبيق قوانين العمل خصوصاً الحد الأدني لسن العمل. وبذا يصبح عمل الأطفال مجرد «مخالفة بسيطة» ومبلوعة اجتماعياً، فتستمر الدائرة المفرغة في إعادة إنتاج الظاهرة.

ولتحديد صورة عمالة الأطفال في كل من ريف وحضر مصر من زاوية نوعية Qualitative، نجد أننا نبدأ من موقع صعب. فالصورة تصطبغ بالتشويش وعدم الدقة في

المجال الإحصائي Quantitative بالنسبة لريف مصر، بل وفي مصر كلها. فهل يمكن أن نصدق الأرقام التالية : بعد أن كان ١,٥ مليون طفل يعملون في مصر عام ١٩٨٤، أصبح هناك ١,٣ مليون طفل عامل في عام ١٩٨٨، ثم أصبح الرقم نصف مليون فقط في سنوات التسعينيات ؟ ومن ثم، تنخفض عمالة الأطفال كنسبة من إجمالي القوة العاملة من ١٠,٨ ٪ عند بداية العقد ١٩٨٤ - ١٩٩٤ إلي ٢,٧ ٪ فقط عند نهايته ؟ ! (٤) .

لكن إذا عرف السبب بطل العجب، عندما نعرف أنه في مسح القوة العاملة بالعينة عامي ١٩٨٤ و ١٩٨٨ كانت هناك استمارة خاصة بـ «عمالة الأطفال» (فضلاً عن استمارة أخري خاصة بعمالة النساء)، وقد ألغيت فيما بعد وتم إدماجها في الاستمارة العامة (٥) ، مما أدي إلي هذا التفاوت غير المعقول في الأرقام والنسب. إن الإهمال الإحصائى الذي تلقاه هذه الظاهرة عند هذه النقطة الأولية هو أول أسباب قلة معرفتنا بها.

علي أية حال، يوضح الجدول التالي حجم عمالة الأطفال في مصر كما كانت عند بداية العقد :

---

(٤) بثينة الديب (رئيسة شعبة بحوث المرأة والطفل في الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء)، حجم وخصائص عمالة الأطفال في مصر، ورقة مقدمة في ندوة عمالة الأطفال، وزارة العمل، ٧ - ٩ مارس ١٩٩٥ .

(٥) نادر فرجاني، عمل الأطفال في البلدان العربية (غير مسموح بإيراد مقتطفات)، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٦ - ٢٧ .

## جدول (٣)
## القوة العاملة تحت سن ١٥ سنة ـ عام ١٩٨٤

| | النوع | (١) عدد العاملين تحت سن ١٥ سنة (بالمئات) | (٢) إجمالي عدد العاملين الذين تزيد أعمارهم عن ٦ سنوات تحت سن ١٥ سنة (بالمئات) | ٪ (١) / (٢) |
|---|---|---|---|---|
| الحضر | ذكر | ٢٥٣٦ | ٥٠١٧٧ | ٥١ |
| | أنثي | ١٤٨٧ | ١٣٢٠٣ | ١١,٣ |
| | إجمالي | ٤٠٢٣ | ٦٣٣٨٠ | ٦,٣ |
| الريف | ذكر | ٦٥٧٧ | ٦٣٤٥٣ | ١٠,٤ |
| | أنثي | ٤١٢٦ | ١٦٧٨٠ | ٢٤,٦ |
| | إجمالي | ١٠٧٠٣ | ٨٠٢٣٣ | ١٣,٣ |
| الإجمالي | ذكر | ٩١١٣ | ١١٣٦٣٠ | ٨ |
| | أنثي | ٥٦١٣ | ٣٩٩٨٣ | ١٨,٧ |
| | المجموع | ١٤٧٢٦ | ١٤٣٦١٣ | * ١٠,٣ |

* ٨, ١٠ ٪ في الأرقام التي قدمتها بثينة الديب (مرجع سابق) علي أساس إجمالي للقوة العاملة يعادل ١٣٦٠٥٢٠٨ .

**المصدر :** الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، مسح القوة العاملة بالعينة، مايو ١٩٨٤ . وردت في : عبد اللطيف الهنيدي، عمالة الأطفال في مصر، ورقة مقدمة إلي ندوة عمالة الأطفال، منظمة اليونيسيف والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية يوليو ١٩٨٦، جدول رقم (٣).

وهناك صورة أكثر تفصيلاً بالنسبة لعام ١٩٨٨، وهي نتائج لمسح القوة العاملة بالعينة، تبلغ عمالة الأطفال ٧,٦ ٪ من إجمالي القوة العاملة (١٣٠٩٠٠٠ من ١٧٢٦٨٠٠٠ عامل).

جدول (٤)

خصائص القوة العاملة تحت سن ١٥ سنة ـ أكتوبر ١٩٨٨

| الفئة | الحضر | الريف | الإجمالي |
|---|---|---|---|
| ٦ ـ ١١ سنة * | ٢٦,٧ | ٣٨,٩ | ٢٥,١ |
| ١٢ ـ ١٤ سنة | ٧٣,٣ | ٦١,١ | ٧٤,٩ |
| ذكر | ٦٩,٥ | ٥٢,١ | ٥٣,٨ |
| أنثى | ٣٠,٥ | ٤٧,٩ | ٤٦,٢ |
| تحت ١٠ سنوات (بدون تصنيف) | ١٢٢ | ١٩,٧ | ١٨,٤ |
| أميون | ٥٣,٤ | ٤٩,٥ | ٤٩,٧ |
| يعرفون القراءة والكتابة | ٢٠,٦ | ١٨,٣ | ١٩,٣ |
| أقل من نصف متعلمين | ١٣,٨ | ١٢,٥ | ١٢,٥ |
| الزراعة | ٣٦,٣ | ٨٦,٥ | ٧٧,٨ |
| الصناعة | ٢٥,٣ | ٦,٢ | ٨,٩ |
| البناء | ٢,٦ | ١,٤ | ١,٦ |
| التجارة | ٣٣,٢ | ٤,٢ | ٧ |
| الخدمات | ٢٢,٦ | ١,٧ | ٤,٧ |
| ملتحقون | ٢٢,١ | ٢ | ٦ |
| عمال خدمات | ٥,٣ | ٠,٨ | ١,٤ |
| عمال زراعيون | ٣٦,٣ | ٨٦,٦ | ٧٧,٧ |
| عمال صناعيون | ٤٦,٣ | ٩,٦ | ١٤,٩ |
| النسبة الإجمالية | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |
| العدد الإجمالي | ١٨٩٠٠٠ | ١١٢٠٠٠٠ | ١٣٠٩٠٠٠ |

* توزيع النسبة المئوية بالنسبة لهذه الفئة ينطبق فقط علي العاملين بأجر. أما بقية الجدول فهو يضم العاملين بأجر أو بدون أجر.

المصدر : الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مسح القوة العاملة بالعينة عام ١٩٨٨ . (عولجت المادة عام ١٩٩١). ورد الجدول في بثينة الديب، مرجع سابق، الجدولان رقم (٢)، (٣).

وطبقاً للأرقام الخاصة بنفس مسح القوة العاملة بالعينة عام ١٩٨٨، فإن العمال من الأطفال في الفئة العمرية ٦ ـ ١٤ سنة كانوا يشكلون ١٢ ٪ من إجمالي أطفال البلد في هذه الفئة العمرية. وهناك تقديرات أخرى علي أساس مسح حديث للديموجرافيا والصحة (المجلس القومي للسكان، ١٩٩٣) توضح وجود ما يزيد عن ضعف هذه النسبة، مما يصل إلي ٢٩ ٪ (١٦,٥ ٪ حضر و٤٠,٤ ٪ ريف) [٦] .

وتعتبر مساهمة العمال الأطفال في دخل وميزانية وحياة أسرهم الفقيرة ذات أهمية كبري (في مقابل تكلفة تربية الأسر لأطفالها) [٧] . إن الدراسات التي أجريت علي بعض العينات في هذا المجال قد أوضحت أن الأطفال العمال يحققون دخلاً متوسطاً يتراوح ما بين ربع إلي ثلث دخل عائلاتهم [٨] . بل ويحققون، في بعض الحالات المتطرفة، كل دخل الأسرة.

---

(٦) هبة نصار، الأبعاد الاقتصادية لمشكلة عمالة الأطفال في مصر، ورقة مقدمة لندوة عمالة الأطفال، وزارة العمل، القاهرة، مارس ١٩٩٥ .

(٧) راجع علي سبيل المثال : أحمد محمد فاروق، تكلفة الأطفال ومدي التفاوت، بحث دكتوراه، معهد الدراسات الإحصائية، جامعة القاهرة، ١٩٨٦ .

(٨) عادل عازر وناهد رمزي، عمالة الأطفال في مصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية واليونيسيف، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٦ .

وإذا نظرنا للأمر من الناحية النوعية، نجد أن أطفال المناطق الريفية يعملون أساساً في الزراعة، ولكنهم يعملون أيضاً في حرف أخري تقترن بالحياة الريفية [٩] . أما في المراكز الحضارية في ريف مصر وكذلك في الحضر (المدن الكبري)، فيعمل الأطفال في حرف وصناعات من نوع آخر مختلف : في المحلات، وفي الورش، وفي المصانع. ولتوخي الدقة، يمكن القول بأنهم يعملون أكثر في شركات القطاع الخاص، حيث أن شركات القطاع العام لا توظف مباشرة الأطفال تحت الحد الأدني للسن المسموح به قانوناً. ومع ذلك، لا ينطبق الحد الأدني للسن علي الزراعة، فهي مستثناة. وقد ظل السن المحدد في مصر حتى عام ١٩٩٦ ـ وهو ١٢ سنة ـ أقل كثيراً من المعايير الدولية. حتى تم رفعه إلى ١٤ سنة بموجب قانون حماية الأطفال الصادر في ربيع ذلك العام ومن ثم، فإن الصورة القانونية ثلاثية الأبعاد لعمالة الأطفال في مصر هي : مسموح به قانوناً في الزراعة، وغير مسموح به قانوناً لأقل من ١٤ سنة في الصناعات الأخري، وتهرب القطاع الخاص أساساً من تنفيذ القانون.

---

(٩) علي سبيل المثال، إنتاج الطوب النيء من الطين لبناء المنازل الريفية. إن المعاناة التي يلقاها معاً الطفل والحصان اللذان يعملان في مجال هذا الإنتاج البدائي مسجلة في فيلم تسجيلي للمخرجة عطيات الأبنودي في السبعينيات اسمه «حصان الطين».

ولا يختلف حضر مصر في واقع الأمر عن ريفها. إذ يعمل الأطفال بكثافات مختلفة في أي وحدة حضرية تحتاج إليهم : خدم في المنازل، باعة جائلون، مساعدون في المحال التجارية، صبية في الورش، عمال في المصانع .. الخ. والأرجح أنهم يكونون أقل ظهوراً أينما تزداد الميكنة في العملية الإنتاجية. لكن من المرجح أكثر تواجدهم في مجالات معينة من الإنتاج تعتمد بصورة تقليدية علي عمالة الأطفال مثل صناعات الجلود والفخار وورش إصلاح السيارات.

إن عمالة الأطفال في مصر، وفي أي مكان آخر، ظاهرة لا يمكن دراستها فقط من خلال الأرقام المصمتة. إنها حالة من حالات «الاستغلال» بكل ما لهذه الكلمة من دلالات. ويمكننا إيجاز ما نعنيه بالاستغلال في التالي :

١ ـ أنها وضع الحرمان من اللعب والذهاب إلي المدرسة.

٢ ـ أنها وضع يتسم بانخفاض الأجر بالنسبة للعمل المنجز.

٣ ـ أنها وضع من الاستبعاد من التمتع بالفوائد الإضافية (التأمين، النقابة، النادي ... الخ).

٤ ـ أنها وضع يتسم بالتعرض لمخاطر العمل.

وقد قام المدير العام لمنظمة العمل الدولية بتلخيص أبعاد الاستغلال في عمالة الأطفال علي النحو التالي : «توظيف الأطفال في مهام أو في ظل ظروف تعرض

حالتهم الجسدية والعقلية للخطر، واستقطاع للأرباح من عمالة الأطفال عن طريق دفع أجور منخفضة لهم، وإنكار حق الأطفال في اللعب والتعليم والاستمتاع بطفولة طبيعية» (١٠) .

وفي دراستنا السابقة عن عمالة الأطفال في المدابغ، نجد أن موقع العمل الصناعي في مصر القديمة يمدنا بحالة واضحة من حالات عمل أطفال دون السن المسموح بها، حيث أن متوسط عمر الأطفال الذين شملتهم العينة كان ١١,٧ سنة، وهو ما يقل عن سن العمل الرسمي في أي بلد في العالم (إذ أن أقل سن مسموح به لعمالة الأطفال هو ١٢ سنة) (١١) . وعلاوة علي ذلك، فإن متوسط سن بداية العمل بالنسبة لأولئك الأطفال كان ٨,٣ سنة. وأصغرهم كانت فتاة اسمها مني عبد الغني. وقد بدأت العمل عندما بلغت ٣,٥ سنة، وعندما بلغت ٤,٥ سنة كانت لا تزال تجمع المسامير بعد خلعها في مقابل خمسة جنيهات في الأسبوع (ومن المثير للغرابة، أن هذا كان يجري في ورشة يملكها حفيد مؤسس الصناعة المصرية الحديثة). ومن بين الأطفال الخمسين الذين شملتهم العينة،

---

(١٠) راجع :
Report of the ILO Director General, Geneva, 1983, p. 12.

(١١) راجع :
Exploitation of Child Labour (Report of Abdel Wahab Bouhdiba), UN (E/CN.4/Sub. 2/479/ Rev. I), NY, 1982, p. 7-8, table (3).

بدأ ٤٠ منهم العمل قبل أن يبلغوا سن ١٠ سنوات.

أما فيما يتعلق بانخفاض الأجر كشكل من أشكال الاستغلال، فإن نتائج البحث الذي أجري علي أطفال المدابغ ستظل معبرة عن الوضع لسنوات قادمة. إذ يحصل الأطفال علي ما يتراوح بين ربع وثلث الأجر الذي يحصل عليه العمال الكبار [١٢] . وبالنسبة للفوائد الإضافية مثل التأمينات، فلا يحصل الأطفال علي شئ من هذا القبيل لأنه من المفترض أنهم لا يعملون، وذلك طبقاً للقانون.

وأخيراً، فبالنسبة لمخاطر العمل التي يتعرض لها الأطفال في المدابغ، يحدد أصحاب الأعمال الترتيب التالي لأسباب حوادث العمل :

جدول رقم (٥)

أسباب حوادث العمل (طبقاً لأصحاب الأعمال) *

| | |
|---|---|
| سقوط الأفراد | ٨٨ ٪ |
| الارتطام بالمواد المتساقطة | ٨٦ ٪ |
| الارتطام بالأشياء أو المواد | ٦٦ ٪ |
| التعرض لتيار كهربي | ٣٦ ٪ |
| التعرض لدرجة حرارة عالية | ٢٤ ٪ |
| التعرض لمواد ضارة | ١٠ ٪ |
| السقوط بين المواد أو فيها | ٦ ٪ |
| الحركة ذات الجهد الشديد أو العنيفة | ٢ ٪ |
| أمور أخري (عدم وجود حوادث في صناعة الغراء اليدوية) | ٢ ٪ |

(١٢) أحمد عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

* معلومات أصلية غير منشورة في مطبوعة منظمة العمل الدولية.

وتجدر ملاحظة ميل أصحاب الأعمال لتجنب الإشارة الدقيقة إلي المصدر الحقيقي للخطر (علي سبيل المثال اعتراف ١٠ ٪ منهم فقط أن المواد الضارة تتسبب في حوادث، علي الرغم من الاستخدام الواسع لمثل هذه المواد في شكل مواد كيميائية). وتزداد قلة الدقة نتيجة للصعوبة التقنية في مجال تفصيل أسباب الحوادث. أما بالنسبة لعدد الحوادث التي وقعت بالفعل، فيقدم أصحاب الأعمال الأرقام التالية :

جدول رقم (٦)
حوادث العمل في المدابغ

| حوادث أدت إلي | العدد الإجمالي | | المتوسط بالنسبة لخمسين موقع عمل |
|---|---|---|---|
| | الكبار | الأطفال | الكبار |
| الوفاة | ٢ | – | ٠،٠٤ |
| العجز الدائم | ١٤ | ٦ | ٠،٢٨ |
| عدم القدرة علي العمل ليوم أو أكثر | ١٦٥ | ٤٢ | ٣،٣٠ |
| عدم القدرة علي العمل لأقل من يوم | ١١٠ | ٥٠ | ٢،٢٠ |
| الإجمالي | ٢٩١ | ٩٨ | ٥،٨٢ |

المصدر : أحمد عبد الله، مرجع سابق، جدول رقم (٣)، ص ٣٦ .

وقد لا توضح الأرقام المشار إليها عاليه مدي وقوع حالات الوفاة بين الأطفال العمال [١٣] ، ولكن الأطفال العمال يموتون بالفعل في مصر. وهناك علي الأقل حالتان للوفاة تم تسجيلهما. وقعت الأولي في منتصف عام ١٩٩١، إذ لقي ١١ طفلاً حتفهم عندما انقلبت العربة التي كانت تقلهم من منازلهم إلي أماكن عملهم. ومن المفارقة أن صاحب العمل غير المباشر للأطفال كان شركة قطا ع عام. وقعت الحادثة في مدينة الحوامدية بالجيزة، وهي إحدي مناطق القاهرة الكبري الأساسية. وفي هذه الحالة، قامت الصحافة بتغطية الحدث [١٤] .

وكان من الممكن أن تمر الحالة الثانية دون أن يلحظها أحد، ولكننا سجلناها في فيلم تسجيلي بعنوان L'En- fance Enchainee (الطفولة المكبلة)، حيث أتيح لنا ولطاقم التصوير الفرنسي ـ المصري معرفتها. وهي قصة مشابهة للحالة الأولي، ففي الصباح المبكر من يوم ٧ سبتمبر ١٩٩٢، انقلبت العربة التي تقل عدداً من الأطفال العمال، ولقيت فتاتان صغيرتان مصرعهما، وهما : سماح أبو المكارم وكانت تبلغ من العمر حوالي ١٥ سنة، وفاطمة السايس (نوسة) وتبلغ من العمر حوالي عشر سنوات.

---

(١٣) هناك حالة أخرى لوفاة ثلاثة من العمال الكبار عن طريق الصعق الكهربائى. وقد حدث ذلك في صناعة الفخار في مصر القديمة. راجع : جريدة الأهرام، ١٦ / ١١ / ١٩٩٤ .

(١٤) راجع علي سبيل المثال : سلامة أحمد سلامة، القتل بتصريح حكومي، جريدة الأهرام، ٢٩ / ٧ / ١٩٩١ .

وبحصولنا علي معلومات مباشرة حول الحادثة من الأطفال العمال في حقول الياسمين، بعد مرور خمسة أيام علي الحادثة، اندفعنا نحو المستشفي لرؤية المصابين. حيث شعرت إدارة المستشفي بالخوف وقدمت أكاذيب حول الموضوع، ولكنها سمحت لنا أن نري إحدي الفتيات المصابات الباقيات (وهي الفتاة التي تظهر في الفيلم التسجيلي). وقد علم المشرف علي الحقل (الخولي) بوجودنا في المستشفي، فلحق بنا وأبدي غضبه علي الشاشة. أما الرجل الذي لم يظهر غضبه علي الشاشة فهو نائب مدير شركة القطاع الخاص التي قامت بتوظيف هؤلاء الأطفال كعمالة مؤقتة. لقد عدنا إلي القاهرة لإجراء مقابلة معه وإبلاغه بالحادث. وبدا واضحاً أنه لم يكن علي علم بما جري، وأنهي المقابلة بغضب وعلي نحو فج. ومع ذلك، لم يظهر غضبه الذي سجلته الكاميرا علي الشاشة! (١٥) .

ومع ذلك، عرف الرأي العام في مصر بالواقعة من خلال رسالة كتبتها إلي جريدة الأهرام ووجدت طريقها للنشر عن طريق الصحفي الشجاع سلامة أحمد سلامة الذي كان قد كتب في العام السابق عن الحادثة الأولي. وفيما يلي نص الرسالة :

---

(١٥) يبدو أن شركة كابا (Capa) المنتجة للفيلم التسجيلي قد وضعت في حسبانها إشاراته الضمنية بأنه سيقاضيها !.

٨ ٥/١٠/١٩٩٢

## من قريب

# البلادة الاجتماعية

اطرق بابكم لاسمع الرأي العام ما قد يكون خافيا على الأسماع. فظاهرة «البلادة الاجتماعية» قد بلغت في بلدنا حدا مميتا. ومن أسوأ تجلياتها ذلك «التستر» على ظاهرة عمل الأطفال في الزراعة والصناعة والحرف. ومع الأسف يسمح القانون المصري (غير الملتزم بالمعاهدات الدولية) بعمل الأطفال في معظم الصناعات عند سن ١٢ سنة كما يسمح بعملهم في الزراعة في أي سن. هذا برغم افتراض وجودهم في مرحلة التعليم الأساسي حتى سن ١٥ سنة.

ولا ننكر أن هناك «اضطرارا اجتماعيا» لعمل الأطفال، خصوصا أبناء الأسر الفقيرة. لكن هناك أيضا «استغلالا اجتماعيا» لهؤلاء الأطفال تتواطأ عليه السلطات الحكومية ومؤسسات الأعمال في القطاعين العام والخاص.

ومن الممكن كأضعف الإيمان تخفيف مقدار هذا الاستغلال من خلال اجراءات تضمن: استمرار ذهاب الطفل للمدرسة بجانب ذهابه للعمل، وزيادة اجور الطفولة العاملة (وهي أجور ضئيلة في معظم الاحوال)، وتقليل ساعات عمل الاطفال (من ٨ الى ١٢ ساعة في معظم الاحوال)، ورعايتهم صحيا وثقافيا وترويحيا بتأسيس «مراكز خاصة لرعاية الطفولة العاملة» في اماكن تكتلها (ولنبدأ بمركز او اثنين على سبيل التجربة) لكن الأهم من كل هذا هو واجب التأمين الاجتماعي على كل طفل يعمل حيث يلزم هنا تغيير القانون الذي لا يسمح بالتأمين الا على من بلغ سن ١٨ سنة. هذا برغم تعرض الأطفال الأصغر لاصابات عمل خطيرة بل وتعرضهم للموت

وعلى ذكر الموت يهزني أن احيط الرأي العام علما بحادثة مفجعة لموت طفلتين عاملتين من ابناء قرية «صا الحجر» الأثرية بمحافظة الغربية حيث انقلبت بهما صباح يوم ٧ سبتمبر ١٩٩٢، عربة نصف نقل كانت تقلهما مع عدد كبير من زميلاتهما إثر عودتهم من العمل في منطقة «طنبرا بلولة» في مزارع الياسمين التابعة باحدى شركات القطاع الخاص حيث اصيب ثلاثة [illegible] آخرون عولجوا في مستشفيات «طنطا» و «بسيون».

وقد أسفت أن السيد نائب مدير الشركة المعنية قد اعتبر الأمر مجرد حادث مرور لا دخل للشركة فيه. ورغم أن الشركة المعنية ذات سمعة طيبة في مجال الانتاج الوطني والتصدير، الا أنها ليست فوق المناقشة الصريحة لمشاكل العمال المنتجين وفي مقدمتهم الأطفال.

واخيرا فقد تفضلتم بالاشارة لحادثة الاجع، مات فيها عدد اكبر من الاطفال وجرت قبل اكثر من عام في محافظة الجيزة ووقتها كان عنوان إشارتكم «القتل بتصريح حكومي» واقول لكم إن تصريح القتل مازال ساريا، وادعو الرأي العام أن يسحب هذا التصريح، ولن يكون ذلك الا من خلال مناقشة جادة واجراءات سليمة لمواجهة مشكلة الطفولة العاملة.

د. احمد عبدالله

باحث ومؤلف ومواطن

صحيح نحن بلد فقير.. وقد تكون هناك ضرورات تبيح بعض المحظورات مثل التغاضي عن عمل الاطفال ولكننا ندعو السيدة الدكتورة وزيرة الشئون الاجتماعية الى بحث استصدار تشريع يحمي الطفولة العاملة ويضمن لها حقها في الحياة على اقل تقدير.

**سلامة أحمد سلامة**

ولكن، وكما يقول المثل المصري العامي : «خير في سلامة .. وسلامة في خير»، إذ ذهبت دعوة سلامة هباء ولم تلق أي اهتمام، ولم نسمع أي رد فعل رسمي أو غير رسمي. وفي السنوات التالية تزايدت حوادث وفاة وإصابة الأطفال العاملين على نحو ما سجلناه في الجدول التالي:

# حوادث وفاة وإصابات الأطفال العاملين

## جدول رقم (٧)

| م | تاريخ الحادثة | المنطقة ومجال العمل | الضحايا | ملابسات الحادث |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ٢٩ / ٧ / ٩١ | العياط - الجيزة - عمل زراعي | وفاة ١١ طفل | وفاة ١١ طفل ذهبوا ضحية جمع الياسمين وقد تم التحقيق مع شركة السكر والتقطير المصرية المسئولة عن الحادث. |
| ٢ | ٧ / ٩ / ٩٢ | عمل زراعي | وفاة فتاتين | انقلبت سيارة كانت تقل عدد من الأطفال لمكان العمل ولقيت الطفلتين سماح أبو المكارم ١٥ سنة وفاطمة السايس ١٠ سنوات مصرعهما. |
| ٣ | ١٠ / ٧ / ٩٤ | المعادي - عامل بورشة سروجي سيارات | إصابات خطيرة نتيجة تعرضه لعملية نفخ | قام صاحب ورشة دوكو سيارات نفخ الطفل عماد نجاح سامي ٧ سنوات بواسطة منفاخ كهربائي كمبروسر. |
| ٤ | ١ / ٤ / ٩٥ | عامل بورشة نجارة | إصابة خطيرة | أصيب الطفل وائل عبد الباري بقطع أصابع يده اليمنى إثر استخدامه منشار كهربائي لقطع قطعة خشب. |
| ٥ | ١٨ / ٢ / ٩٦ | عزبة النخل - عامل بورشة نجارة | وفاة طفل وإصابة أخيه بإصابات خطيرة. | وفاة الطفل جمال مشحوت ٨ سنوات بعد أن اتهمه صاحب الورشة التي يعمل بها بسرقة آلة حاسبة مما دعاه إلي ضربه حتي أصيب بحالة إغماء استمرت في الفترة من شهر فبراير إلي شهر يونيو ٩٦ حتي وفاته كما قام بضرب أخيه سامح حتي أصيب بكسر ذراعه وإحدى رجليه. |
| ٦ | ٥ / ٣ / ٩٦ | منشأة ناصر - منطقة الزرايب يعمل بجمع القمامة. | وفاة طفل | أصيب الطفل شنودة رزق بماس كهربائي إثر محاولة إمساكه قطعة من الألومنيوم اتضح أنها موصلة بتيار كهربائي مما أدى إلي وفاته في الحال. |
| ٧ | ٧ / ٥ / ٩٥ | قرية بسوس بالقناطر الخيرية - عامل بورشة موبيليا | إصابة شديدة بالأمعاء وصدمة عصبية ونزيف حاد | قام عامل بورشة موبيليا بنفخ صبي ١٥ سنة بالكمبروسر مما أحدث انفجار في أمعائه وصدمه عصبية ونزيفاً حاداً. |

| م | تاريخ الحادثة | المنطقة ومجال العمل | الضحايا | ملابسات الحادث |
|---|---|---|---|---|
| ٨ | ١٦ / ٩ / ٩٧ | قرية مسير ـ كفر الشيخ ـ عمل زراعي | وفاة ٣١ طفل وطفلة وإصابة ٥٤ آخرون | إنقلبت بالأطفال سيارة أثناء ذهابهم للعمل في جني القطن بالأجر. |
| ٩ | ٨ / ١٢ / ٩٧ | مركز أشمون المنوفية ـ عمال زراعة | وفاة ١٣ طفل وطفلة | حادث انقلاب سيارة بالرياح البحيري تقل عدد من عمال التراحيل الزراعيين من منطقة أبو غالب بقريتي القنيصة والبرانية مركز أشمون. |
| ١٠ | ١٢ / ١ / ٩٨ | عامل تنظيف سيارات | إصابة طفل إصابات خطيرة | قام أحد العمال بأحد المحلات بنفخ الصبي محمود سيد خليل ١٢ عام الذي يعمل بتنظيف السيارات أمام محل هذا العامل. |
| ١١ | ٩ / ٥ / ٩٨ | الجيزة ـ خادمة | وفاة طفلة | حرق طفلة كانت تعمل خادمة بأحد البيوت بالجيزة، وكانت قد تعرضت من صاحب البيت للاغتصاب ثم الحرق حتي الموت. |
| ١٢ | ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٠ | منطقة إمبابة ـ طفل متسول | وفاة طفل | لقي طفل ١١ سنة متسول مصرعه أثناء نومه داخل القمامة وذلك عندما كان سائق اللودر يقوم برفع القمامة من منطقة إمبابة. |

* الأهرام ٢٩ / ٧ / ٩١

* د. أحمد عبد الله، الأطفال الكادحون، ظاهرة عمل الأطفال في مصر، مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية، دار الطباعة المتميزة، ١٩٩٥، ص ٣٠

* الوفد ٢٠ / ٧ / ٩٤ ـ الأحرار ١٨ / ٤ / ٩٥ ـ الوفد ١٨ / ٩ / ٩٧ ـ الأهرام ٨ / ١٢ / ٩٧ ـ الوفد ١٢ / ١ / ٩٨ ـ الأهرام ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٠

إن من الممكن قياس مدي عمق الممارسات الاستغلالية الواقعة علي الأطفال العمال إذا ما تنكر الباحث الاجتماعي في زي طفل عامل (مثلما فعل الصحفي عبد العاطي حامد في سنوات الستينيات عندما تناول الاستغلال الواقع علي الكبار). وباستثناء هذا الأسلوب المستحيل، يبدو أن الطريقة الوحيدة لكشف الحقيقة كاملة هو أن يقدم الأطفال العمال أنفسهم تقييماً (١٦) . ولكن هنا أيضاً، فإن الوعي الطفولي والمشوش لأولئك العمال يخلق نوعاً آخر من الاستحالة :

*«يبدو كثير من الأطفال العمال سعداء بالأجر والفوائد التي يحصلون عليها، وبساعات عملهم، وبالبيئة التي يعملون فيها، وسلوك صاحب العمل (علي سبيل المثال : حالة شعبان صالح في دراستنا المبكرة عن المدابغ، والذي كان يعتقد أن صاحب العمل - الذي يدفع له ٤ جنيهات أسبوعياً - كان رجلاً طيباً)، فضلاً عن سلوك زملائهم العمال الكبار، هذا بالإضافة إلي ما يلقونه من معاملة»* (١٧) .

---

(١٦) راجع علي سبيل المثال التقييمات التي قدمها الأطفال في الدراسة التالية :

Eftetan Farrag, Child Labour in Cairo : Profiles of Working Boys, Master's Thesis, American University in Cairo, 1990.

(١٧) E. Mendelievich (ed.) Children at Work, ILO, Geneva, 1979, p. 36.

وكقاعدة عامة، ومع افتراض استمرار جذب الأطفال للعمل، يمكن توقع حدوث تقلص في الاستغلال الواقع علي الأطفال مع دخول الصناعة الحديثة الرأسمالية علي نطاق واسع. إن النمط ما قبل الرأسمالي، أو بقاياه، يخلق «وضعاً يؤدي بشكل استثنائي إلي كافة أنواع المظالم» [١٨] . وفي ظل هذا الوضع، فإن الأسرة «تستمر في أن تلعب دوراً رئيسياً في استغلال الطفل العامل» [١٩] ، كما ثبت ذلك من خلال عدة حالات للأطفال الذين يعملون لدي آبائهم في مدابغ الجلود وخاصة أولئك الذين يعملون في إنتاج الغراء من خلال عمل الأسرة أساساً.

إن أصحاب الورش في المدابغ، علي سبيل المثال، يعرفون باسم «المعلمين» وليس «المديرين». إن وجودهم الشخصي في العمل يقرر كل شئ يتعلق بعملية الإدارة. كما أن وجود الطفل الحدث أو البروليتاريا الصغيرة الخاضعة يعزز من هذا الموقف، علي الأقل من الناحية السيكولوجية، ويخلق لأصحاب العمل نوعاً خاصاً بهم من أنواع الرضا المهني. وبالإضافة إلي ذلك، فإن غياب النقابة يؤكد هذا الشعور موضوعياً، ويحافظ علي العنصر ما قبل الرأسمالي في الصناعة. إن ما يعنيه هذا في الممارسة هو نزوع اجتماعي - سيكولوجي لتوظيف العمال

---

(١٨) راجع :

Exploitation of Child Labour, p. 17.

(١٩) المرجع السابق.

الأطفال.

علي أية حـال، تبـقي هناك مـلاحظـة للتـحـفظ والحـذر. فـالصناعـة الرأسـمـاليـة الحـديثـة ـ خـاصـة في ظل ظروف البطالة ـ وغياب الرقابة الاجتماعية، بالإضافة إلي وجود فـسـاد علي نحـو منتظم، كل هذا يمكن أن يطبع ظاهرة استـغلال الأطفال بالتعقيد الشديد. فيمكن أن يستخدم أصحـاب الأعمـال في هذا النظام نفوذهـم السياسي من أجل تعطيل سن تشريع يهدف إلي رفع الحد الأدني لسن التـوظيف أو تقليص الاسـتـغـلال الواقـع علي الأطفـال العاملين بشكل عام. كما يمكنهم أيضـاً رشوة المسئولين الفـاسـدين المكلفين بالإشـراف علي تنفـيذ قـوانين العـمل، واستخدام منفذ التلمذة الصناعية (ذريعة تدريب الأطفال) لتجنب مـثل هذا التنفـيذ، وأخـيراً، يمكنهم باسم الحـداثة إهمال التقاليد الاجتماعية أو الدينية التي يمكن أن تساعد علي حماية الأطفال ضد استغلالهم. فمن الممكن أن يعتبر الإنتـاج أو الإنتـاجـيـة، أو ضـرورات السـوق، أو الحـداثة بشكل عام مبررات جاهزة لسلوك أصحـاب الأعمال الذين يسـتـغلون عـمل الأطفـال. وبقـدر مـا يتـعلق الأمـر بعـمـالة الأطفـال كظاهرة ملمـوسـة، فـمـا يهم ليس هو التنمـيـة أو الحـداثة في حد ذاتـهمـا، وإنما هـي الإجراءات التي يمكن اتخـاذها بالفعل لتقليص الاستـغلال الواقع علي الأطفال، ولأي مدي يمكن لهذه الإجراءات أن تمهد الطريق للتخلص من عمالة الأطفال ذاتها علي المدي الأبعد مع تقدم عمليات التنمية والتحديث.

## ٣ـ الأطفال العاملون في مدابغ مصر القديمة : عينة منتصف الثمانينيات *

أواخر عام ١٩٨٥ شرعت في إجراء دراسة ميدانية علي عمل الأطفال في صناعة الجلود وبالتحديد في منشآت دبغ الجلود (المدابغ) الكائنة في حي مصر القديمة بجنوب القاهرة. وقد تمثلت مبررات هذا الاختيار في كون هذه الصناعة من المعاقل التقليدية لتشغيل الأطفال في الصناعة المصرية، وفي كوني شخصياً من سكان هذه المنطقة ولي بها بعض الدراية خصوصاً في جانب المعرفة الشخصية الذي ثبتت أهميته لأجل الحصول علي معلومات حقيقية بشأن هذا الموضوع الذي يعتبره أصحاب العمل موضوعاً حساساً لما يحتويه تشغيل الأطفال من مخالفة لصريح القانون. وقد اشتمل البحث علي مقدمة عامة من صناعة الجلود نفسها والتي تواجه مشكلة خاصة تتعلق برغبة أصحاب المدابغ في تصدير جزء من إنتاجهم وحظر السلطات لذلك. أما المنشآت التي تناولها البحث فقد بلغت خمسين منشأة كبراها يعمل بها مائتان من العمال بجانب خمسة عشر طفلاً دون الخامسة عشرة من العمر

---

* موجز للدراسة الأصلية المذكورة أعلاه والمنشور نصها باللغات الإنجليزية والفرنسية والأسبانية.

وصغراها يعمل بها بالغان وطفل واحد. ومن بين الخمسين مدبغة وجدت واحدة فقط لا تقوم بتشغيل الأطفال.

أما بالنسبة للأطفال فقد غطي البحث خمسين طفلاً عاملاً في هذه المدابغ (٤٨ ولداً وبنتين) كان من بينهم ١٤ طفلاً في فئة العمر ٤,٥ ـ ١٠ سنوات. و ٢١ طفلاً في فئة العمر ١١ ـ ١٣ سنة. و ١٢ طفلاً عمرهم ١٤ سنة و ٣ أطفال عمرهم ١٥ سنة وبلغ متوسط عمر الجميع ١١,٧ سنة. وقد تم استجواب هؤلاء الأطفال في موقع العمل ثم مرة أخري تم استجواب أرباب أسرهم في مكان سكنهم، كذلك تم استجواب خمسين أسرة لا يعمل أطفالها للمقارنة بين الأطفال العاملين وأولئك الذين يذهبون للمدرسة من حيث أوضاع الأسرة.

وعلي وجه العموم يمكن تلخيص نتائج البحث علي الوجه التالي :

## أولاً : أوضاع سوق العمل ونطاق عمل الأطفال :

### ١ ـ عوامل العرض :

#### ( أ) دخل الأسرة وعمل البالغين بها :

تأكدت الأطروحة القائلة بأن الفقراء، هم الذين يرسلون أطفالهم إلي سوق العمل بدلاً من المدرسة بحثاً عن دخل أكبر لمواجهة متطلبات العيش. فقد جاءت إجابات أرباب أسر الأطفال حول سبب إرسال أطفالهم للعمل علي الوجه المبين بالجدول السابق رقم (١).

إلا أنه قد لوحظ أن الأطفال العاملين أنفسهم يميلون

للتهوين من احتياج الأسرة للمال كسبب رئيسي لذهابهم للعمل. حيث أقر ٥٠ ٪ من هؤلاء الأطفال بهذا السبب، بينما لم تزد نسبة من أقروا بعجز الأسرة عن مواجهة تكاليف المدرسة عن ٧ ٪ فقط.

وتجدر الإشارة هنا كذلك إلي ملاحظتين :

**الأولي** : هي أن نسبة من الأطفال إنما تساهم في زيادة دخل الأسرة من خلال العمل لبعض الوقت دون أن تترك المدرسة تماماً (٤٤ ٪ من أطفال العينة).

**والثانية** : هي أنه برغم إسهام الأطفال بعملهم في زيادة دخل الأسرة إلا أنهم ليسوا الوحيدين الذين يوفرون للأسرة دخلاً. حيث لم تزد نسبة من يلعب هذا الدور عن ٢ ٪ من العينة.

**(ب) التسهيلات التعليمية وموقف الأسرة من المدرسة:**

ساهم هذا العامل بدرجة أقل في توفير فرص عمل الأطفال. وبسبب شدة ارتباط الأسر المصرية بالتعليم كان من العسير مصادفة أسر يذهب أطفالها للعمل فقط حيث غالباً ما ضمت الأسرة أطفالاً يذهبون للمدرسة بجانب أولئك العاملين. وإن لوحظ بشكل عام ارتفاع درجة الاهتمام بتعليم الأطفال مع ارتفاع درجة تعليم الوالدين نفسيهما. كما كان لمدي استقرار الأسرة أثر علي ذلك حيث زادت نسبة الأطفال العاملين في الأسر ذات الأصل الريفي القريب أو حديثة الهجرة للمدينة. ولم تتواجد لدى هذه الأسر شكوي واضحة بإزاء توافر التسهيلات

التعليمية بقدر ما اتضحت مسئوليتها الخاصة عن عدم إرسال أطفالها للمدرسة حيث قدمت مبررات مثل ضياع شهادة ميلاد الطفل أو تجاوز الطفل سن المدرسة أو حتي نسيان التقدم في موعد تقديم طلبات الالتحاق بالمدرسة. أما عن ترك المدرسة بعد بدء الدراسة بالفعل فقد ارتأي ١٠ ٪ من أرباب الأسر أن السبب يرجع لعدم حب الطفل للمدرسة بينما كانت نسبة الأطفال العاملين الذين ارتأوا نفس السبب ٣٨ ٪. ويلاحظ أخيراً أن التكلفة الفعلية للتعليم قد ارتفعت بشدة مع انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية بحيث أصبحت تتراوح بين ١٣ ٪ و ٢٥ ٪ من دخل أسر العينة. وهو ما ينذر مستقبلاً بالمزيد من العرض بالنسبة لعمل الأطفال وبتحول التعليم إلي امتياز اجتماعي غير متاح إلا للقادرين.

### ٢ـ عوامل الطلب:

ثمة مجموعة من العوامل الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية التي تدعم الطلب علي اليد العاملة الصغيرة في الصناعة محل البحث. وتأتي علي رأس هذه العوامل طبيعة الإنتاج في هذه الصناعة والتي تجعل الطلب علي اليد العاملة متغيراً بما يلائم عرض عمل الأطفال المتغير بدوره حيث يزداد أثناء الأجازة الصيفية لتوافر التلاميذ الراغبين في العمل لبعض الوقت. وهناك بجانب ذلك الطلب الناجم عن قلة تكلفة عمل الأطفال من جراء ضعف أجورهم. هذا بجانب تخلف التكنولوجيا المستخدمة في هذه الصناعة واحتوائها علي مهام يدوية يتيسر للأطفال القيام بها وبالأخص مهمة خلع المسامير من الجلد

المشدود علي الإطارات الخشبية بعد أن يجف. وفوق كل هذا هناك سهولة الحصول علي اليد العاملة الصغيرة في المنطقة السكنية المجاورة بالشكل الذي جعل من هذا الأمر تقليداً تاريخياً.

## ثانياً : شروط عمل الأطفال :

### ١ـ توزيع مهام العمل :

يقوم توزيع مهام العمل بين الكبار والصغار علي الاعتبارات الإنتاجية. ولذا يقوم الأطفال أساساً بالأعمال اليدوية البسيطة كتلك المشار إليها أعلاه. إلا أن تلك الأعمال تمثل جزءاً عضوياً في العملية الإنتاجية لا يمكن الاستغناء عنه. وبينما يشير أكثر من ٩٠ ٪ من أصحاب العمل إلي أن الأطفال يقومون بمهمة تنظيف مكان العمل والإعداد البسيط لمواد الإنتاج يقر ٤٨ ٪ منهم بأن عمل الأطفال يرتبط أكثر بالإنتاج المباشر من خلال نقل الخامات وإعداد الماكينات.

### ٢ـ الأجور والمكافآت :

يؤكد أصحاب العمل والأطفال العاملون معاً أن الأخيرين يحصلون علي أجور منتظمة تدفع لهم شخصياً في ٩٢ ٪ من الحالات وللوالدين في ٤ ٪ منها بينما يتبقي ٤ ٪ من الأطفال العاملين يعملون بدون أجر منتظم لكونهم أبناء أصحاب العمل أنفسهم. ويعيش كل الأطفال العاملين مع ذويهم وبالتالي لا يدخل السكن ضمن مكافأة العمل مثلما لا يدخل الطعام. ويحصل البعض منهم علي مكافأة

إضافية في مناسبه الاعياد سواء علي شكل منحه نقدية أو مقدار من القماش واللحم. والمهم في هذا الشأن هو أن أجر الطفل يتراوح بين ربع وثلث أجر العامل البالغ. حيث بلغ متوسط أجر الطفل ١٣ جنيهاً في الأسبوع مقابل ٤٦ جنيهاً للعامل البالغ. وبلغ أعلي أجر لعامل طفل ٢٠ ـ ٢٥ جنيهاً وأقل أجر ٢ ـ ٣ جنيهات.

## ٣ ـ وقت العمل :

يعمل معظم الأطفال ستة أيام في الأسبوع ويوم العطلة الأسبوعية غير مدفوع الأجر ونادراً ما يحصلون علي إجازات سنوية مدفوعة أو غير مدفوعة. ويبلغ متوسط ساعات عملهم في اليوم ٩,٧ ساعة في مقابل ١٢,٨ ساعة للعمال البالغين. ويعمل حوالي ثلث الأطفال ساعات عمل إضافية بعد السادسة مساءً بالمخالفة الصريحة للقانون. وتتروواح فترة الراحة أثناء العمل ما بين نصف ساعة وساعة كاملة وقت الغداء. وعلي وجه العموم توزع أوقات العمل بالنسبة للأطفال العاملين علي الوجه التالي :

جدول رقم (٨)

ساعات عمل أطفال المدابغ

| عدد ساعات العمل | نسبة الأطفال العاملين |
|---|---|
| أقل من ٨ ساعات | ٤ ٪ |
| ٨ ساعات | ٢٦ ٪ |
| أكثر من ٨ ساعات | ٧٠ ٪ |
| ٨ ـ ١١ ساعة | ٤٢ ٪ |
| ١٢ ساعة | ١٦ ٪ |
| أكثر من ١٢ ساعة | ١٢ ٪ |

## ٤ـ التدريب :

لا يحصل الأطفال العاملون علي تدريب منتظم وإنما ينخرطون في العملية الإنتاجية مباشرة. ومع ذلك يعتبرهم أصحاب العمل في حالة تدريب دائم كصبية ويقر معظم الأطفال بهذا الاعتبار.

## ٥ـ بيئة العمل :

يعمل الأطفال في بيئة عمل قاسية في الصناعة محل البحث. ويرجع ذلك لطبيعة العملية الإنتاجية والتي تشمل بالنسبة للأطفال الوقوف ساعات طويلة تحت الشمس وفي وضع الظهر المنحني للقيام بمهمة خلع المسامير من إطارات الجلد. كما يرجع ذلك لتخلف التكنولوجيا المستخدمة في هذه الصناعة. ويقرر الأطفال أن أسوأ جوانب العمل الذي يقومون به هي الجوانب التالية :

جدول رقم (٩)
شكاوي أطفال المدابغ من بيئة العمل

| | |
|---|---|
| الخطورة البدنية للعمل | ٧٤ ٪ |
| يشتمل علي حمل ونقل أشياء ثقيلة | ٥٤ ٪ |
| يستلزم السرعة الشديدة | ٣٢ ٪ |
| ساعات العمل طويلة | ٢٢ ٪ |
| هناك إهانات بدنية ولفظية | ٢٢ ٪ |

وبالنسبة للجانبين الأولين تتركز شكوي الأطفال العاملين في الرائحة الكريهة النابعة من عملية دبغ الجلود والتي تؤثر علي تنفس بعضهم، وفي ثقل وزن الإطارات الخشبية لشد الجلد والتي يضطرون لحملها بالإضافة لإنحنائهم معظم الوقت لخلع المسامير المثبتة عليها. ويمثل هذان الجانبان بجانب المواد الكيماوية والآلات الحادة المستخدمة والاستخدام غير المأمون للتيار الكهربائى - المصدر الأساسي لأمراض المهنة وإصابات العمل التي يتعرض لها الأطفال العاملون في هذه الصناعة. حيث تمثل إصابات الأطفال ٢٥ ٪ من إجمالي إصابات العاملين، وهي نسبة مطابقة تقريباً لنسبة الأطفال في قوة العمل الإجمالية لهذه الصناعة والتي تتراوح بين ٢٠ ٪ و ٢٥ ٪ من العاملين. ومن بين الأطفال الخمسين الذين غطتهم العينة أشار ستة إلي أنهم أصيبوا بأمراض ناجمة عن العمل لمدد متفاوتة : واحد بإصابة في العمود الفقري لمدة عام، وواحد بإصابة في العين لمدة ثلاثة أشهر بالمستشفي، وواحد أصيب بالحمي وظل بالمستشفي لثلاثة أشهر أيضاً، وواحد أصيب بصداع متجدد لمدة شهر، وواحد بإصابة معوية لمدة أسبوع، وواحد لم يقدر علي العمل لثلاثة أيام بسبب الرطوبة. ويعطينا ذلك متوسطاً قدره ثلاثة أشهر وثلاثة أيام بالنسبة لكل مصاب وقدره أسبوع وأربعة أيام ونصف بالنسبة لكل من الأطفال العاملين الذين تناولهم البحث.

### ٦ـ الخدمات الاجتماعية والترويحية :

لا تحتوي منشآت هذه الصناعة علي ملحقات للخدمة الاجتماعية والترويحية سواء بالنسبة للعاملين البالغين أو الأطفال، اللهم إلا توافر دورات المياه وبعض الإسعافات الأولية داخل المنشآت. ويتضح أن العاملين الكبار والصغار معاً كانوا في حاجة شديدة للخدمة التعليمية متمثلة في فصول محو الأمية والخدمة الصحية متمثلة في عيادة متخصصة داخل موقع العمل والخدمة الترويحية متمثلة في ناد رياضي أو منتدي اجتماعي.

## ثالثاً : عمل الأطفال بين الاستغلال الاجتماعي والضبط القانوني :

قدمت عينة مدابغ مصر القديمة مؤشراً مبكراً علي أن الصورة العامة لظاهرة عمل الأطفال في مصر كغيرها من بلدان العالم الثالث إنما تشير إلي أن الأطفال العاملين أنفسهم وأسرهم والمجتمع الواسع إنما يستقبلون جميعاً هذه الظاهرة إستقبالاً بارداً يجعل منها ظاهرة طبيعية لا تمثل خروجاً عن النواميس المألوفة. لكن هذه الروح العامة لا تستطيع أن تنفي حقيقتين علي قدر من الأهمية. الأولي هي وجود حالات فجة من القهر الإنساني الواقع علي بعض الأطفال علي الأقل، مثل حالة الطفلة التي لا يزيد عمرها عن أربع سنوات ونصف السنة ومع ذلك تحني ظهرها لساعات طويلة لتجمع المسامير الملقاة علي أرضية إحدي منشآت صناعة الجلود. هذا مع ملاحظة أن السن المتوسط لبدء العمل بالنسبة للأطفال العاملين في هذه الصناعة طبقاً لبحثنا الميداني كان ٨,٢ سنة. والحقيقة

الثانية هي أن ثمة مستويات كونية استنها المجتمع الدولي لتنظيم عمل الأطفال من خلال اتفاقيات العمل الدولية والمفترض أن تنعكس في التشريعات القومية. وبرغم أن مصر لم توقع أيا من الاتفاقيات الخاصة بتنظيم عمل الأطفال إلا أن تشريع العمل بها يتناول الأمر بصورة نسبية تقف نظرياً دون المستويات الدولية المقررة وتقف عملياً في دائرة اللا تطبيق بسبب تخلف أجهزة الضبط القانوني. حيث لم يكن يزيد عدد مفتشي العمل في منطقة مصر القديمة التي تحتوي الأطفال العاملين بمدابغ الجلود عن أربعة مفتشين مطلوب منهم التفتيش علي حوالي عشرين ألف منشأة بصورة منتظمة. والأمر علي هذا النحو لا يعدو كونه ملهاة اجتماعية تتحدي المستويات الدولية المحددة والحقوق الإنسانية العامة بل وتتحدي أداءنا المهني للبحث الاجتماعي حين نقف عاجزين عن تغيير الأوضاع اللا إنسانية التي ندرسها. والتنبيه لهذا التحدي البحثي والإنساني هو ما اضطلعت به تلك العينة المبكرة لدراسة ظاهرة عمل الأطفال المصريين من خلال دراسة أولئك الصغار الكادحين العاملين في مدابغ مصر القديمة.

## ٤ ـ الأطفال العاملون في مدابغ وورش وفخارية مصر القديمة :

## عينة منتصف التسعينيات

في دراسة ميدانية حديثة، اخترنا عينة مركزة تضم سبعة وعشرين طفلاً عاملاً، من بينهم خمس بنات (٢٠ ٪) يعملون في ثلاث مناطق صناعية في حي مصر القديمة. وقد عينت دراستنا هذه «باستكشاف» الوضع أكثر من إجراء «مسح» شامل له. كما انصب اهتمامنا أكثر علي منطقة «الفخارية» نظراً لندرة الدراسات العلمية حولها، برغم كثرة تصويرها في عديد من الأفلام التسجيلية، نظراً لأن الدخان الأسود الكثيف الذي يحلق في سمائها صباحاً يخلق مشهداً مثيراً ! كذلك فقد خضعت منطقة المدابغ للبحث والدراسة من قبل، علي الأقل في دراستنا سالفة الذكر، أما ورش إصلاح السيارات، فقد كانت هي الأخري موضوعاً للدراسة في عدة مناطق أخري أكثر من مرة علي يد زملاء باحثين آخرين. وتجدر الإشارة أيضاً إلي أن الفخارية قد أمدتنا بعينة ملفتة من البنات برغم صغر حجمها. وربما جاء تركيزنا علي أطفال الفخارية استجابة لما تمليه علينا ضمائرنا ومشاعرنا الباطنية من ضرورة إبداء عناية خاصة تجاه الصبيان والبنات الذين يعملون في مجال صناعة الفخار، إذ تبدو تعاستهم

الشديدة واضحة، سواء من زاوية شروط العمل، أو الظروف المعيشية، أو من زاوية حالتهم الصحية، وكذا مظهرهم الشخصي. فلقد ثبت من خلال الاختبارات والفحوص الطبية التي أجريت لهم أن حالتهم الصحية وآفاقهم الذهنية هي الأسوأ من بين الحالات الثلاثة محل الدراسة. والأمر لا يثير الدهشة، فمجموعة الفخارية لديها خلفية وروابط ريفية مباشرة، ونعني بذلك الجيل الأول أو الثاني من المهاجرين، وهم في أغلبهم فقراء وأميون ويعانون الاغتراب في حياة الحضر. وهكذا حال أبنائهم وبناتهم.

وبكلمة واحدة، فإن صورة الحياة التي يعيشها الصغار العاملون في مجال صناعة الفخار إنما تتجاوز الصورة الكلاسيكية لشخصية «بلية»، الذي يعمل في ورش إصلاح السيارات، والذي يتخذ كمثال علي الطفولة البائسة المجبرة علي العمل. إن ملاحظة مشهد عاملي الفخارية الصغار وهم يعجنون الطينة ويحملون الخامات والمنتجات في مكان كئيب شديد التلوث إنما تحرك مشاعرنا وعواطفنا. إنهم يتحركون من الجانب المظلم الرطب لمكان العمل (المسمي دولاب) إلي الجانب المفتوح خارجه حيث حرارة الشمس والأفران. وهي حركة تشبه عملية «البسترة» أو التعقيم، وإن كانت في هذه الحالة عملية تعقيم للبشر !.

ولا يقل العمل في المدابغ أو في ورش إصلاح السيارات صعوبة أو خطورة، وخاصة مع وجود المواد الكيميائية الملتهبة والأسلاك الكهربائية المكشوفة التي

تنتشر في المكان. ومع ذلك، يقل الإحساس بالبؤس فيما يتعلق بالأطفال الذين يعملون هناك مقارنة بأولئك الذين يعملون في مجال الفخار. وتجدر أيضاً ملاحظة وجود اختلاف مشابه بالنسبة لظروف معيشة أسر الأطفال، وكذلك بالنسبة لأحوالهم الصحية الجسدية والذهنية. ونقدم فيما يلي تخطيطاً عاماً لصورة المجموعات الثلاثة من هؤلاء الأطفال العاملين. وذلك من ثلاث زوايا : «رزقهم» أو ظروفهم المعيشية، و «أجسادهم» أو صحتهم و «عقولهم» أو رؤاهم وآفاقهم الذهنية.

## ( أ ) الرزق

### جدول رقم (١٠)

### الظروف المعيشية للأطفال العاملين بمصر القديمة

| م | الإسم | السن | المدرسة | | | | العمل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ١ | محمد فرج رمضان | ١٠ | × | | | الأب نسي والطفل لا يحب المدرسة | ١٢ - ١٦ | ٦ | ١٠ | المدابغ | ٥ | × الوالد يعمل في المدابغ × تتكون الشقة من غرفتين وصالة |
| ٢ | محمود محمد محمود | ١١ | | × | الصف الرابع الإبتدائي | الأسرة فقيرة | ١٢ | ٦ | ١٥ | المدابغ | ٦ | × الوالد مريض وعاطل عن العمل × غرفة واحدة للأسرة كلها |

| م | الإسم | السن | المدرسة | | | | العمل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ٣ | أحمد محمد مصطفى | ١٣ | | × | الصف الثالث الإبتدائي | للعمل مع والده | ١٤ | ٦ | ٣ ـ ٥ مصروف حيب | المدابغ | ٣ | × الوالدان مطلقان<br>× الطفل يعيش مع جدته لأمه<br>× يعمل مع والده |
| ٤ | سامح كمال عبد الله | ١٣ | | × | الصف الخامس الإبتدائي | يكره المدرسة | ١٣ | ٦ | ١٥ | المدابغ | ٨ | × الوالد والأخ يعملان في المدابغ |
| ٥ | أيمن محمد عبد العال | ١٤ | | × | الصف الرابع الإبتدائي | لمساعدة أمه المطلقة | ١٣ | ٧ | ٣٥ | المدابغ | ٢ | × والده طلق والدته مند أن كان رضيعاً<br>× يعيش في غرفة واحدة مع والدته |

| م | الإسم | السن | المدرسة | | | | العمل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ٦ | عمرو حنفي مهني | ١٠ | × | | | لا يحب المدرسة | ١٠ | ٦ | ١٢ | ميكانيكي سيارات | ٧ | × والده وأخواه يعملون في المدابغ<br>× تعيش الأسرة في غرفتين |
| ٧ | أسامة عبد المجيد مصطفي | ١٠ | | × | الصف الرابع الإبتدائي | وفاة الأب | ١٢ | ٦ | ١٣ | ميكانيكي سيارات | ٥ | × الأب متوفي<br>× الأم لا تعمل |
| ٨ | حسن زينهم محمد | ١٢ | | × | الصف الرابع الإبتدائي | لا يقدر علي النفقات | ١١ | ٦ | ١٥ | ميكانيكي سيارات | ٦ | × الأب مريض ولا يعمل<br>× الأسرة تعيش في غرفة واحدة<br>× أخوه الصغير يعمل معه |

| م | الإسم | السن | المدرســـــــة | | | | العمـــــــــل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ٩ | عمرو مصطفي ابراهيم | ١٢ | | × | الصف الخامس الإبتدائي | وفاة الأب | ١١ | ٦ | ١٠ | ميكانيكي سيارات | ٦ | × الأب متوفي<br>× الأم تزوجت مـــرة أخري ولا تعمل |
| ١٠ | أحمد محمد عبد العزيز | ١٢ | × | | | لا يحب المدرسة ولا يقدر علي تحمل نفقاتها | ١١ | ٦ | ٧ | ميكانيكي سيارات | ٦ | × تعيش الأسرة في كوخ خشبي<br>× يعمل والداه باعة متجولين<br>× لديه أخ عمره ١٣ سنة يعمل أيضاً ميكانيكي |
| ١١ | صبري أسعد عبد العاطي | ١٣ | | × | الصف الثالث الإبتدائي | وفاة الأب | ١٢ | ٦ | ١٢ | ميكانيكي سيارات | ٦ | × الأب متوفي<br>× تعيش الأسرة في المدافن |

| م | الإسم | السن | المدرســـــــــة | | | | العمـــــــــــل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ١٢ | وحيد سيد رمضان | ١٣ | | × | الصف الثالث الإبتدائي | لا يحب المدرسة | ١٣ | ٦ | ١٥ | ميكانيكي سيارات | ١١ | × تعيش الأسرة في غرفتين<br>× يعمل الأب ترزي والأم بائعة<br>× يعمل أخواه أيضاً ميكانيكيين |
| ١٢ | محاسن خلف (بنت) | ٦.٥ | × | | | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٥ | الفخارية | ٧ | × الأب هجر أسرته<br>× الأسرة تعيش في غرفة واحدة<br>× هناك أختان تعملان<br>× الأم لا تعمل |

| م | الإسم | السن | المدرسة | | | | العمل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ١٤ | سماح فرج (بنت) | ٧ | × | | | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٥ | الفخارية | ٧ | × الأب عـجـور ولا يعمل<br>× هناك اخوان يعملان<br>× الأسرة تعيش في غرفة واحده |
| ١٥ | أسماء خلف (بنت) | ١٠ | | × | الصف الأول الإبتدائي | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٢٠ | الفخارية | ٧ | × مثل رقم ١٣ (أخت) |
| ١٦ | رشا الترساوي (بنت) | ١٠,٥ | × | | | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ١٠ | الفخارية | ٩ | × الأب عاطل عن العمل<br>× الأم مريضة<br>× تعيش الأسرة في غرفة واحدة<br>× اخوها الطفل يعمل |

| م | الإسم | السن | المدرسة | | | | العمل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ١٧ | رشا خلف (بنت) (هذه هي البنت التي ظهرت في الفيلم التسجيلي «الطفولة المكبلة») | ١١,٥ | × | | | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٢٠ | الفخارية | ٧ | × مثل رقم ١٣ و ١٥ (أخوات) |
| ١٨ | كريم قرني | ٨ | | × | الصف الثاني الإبتدائي | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٥ | الفخارية | ٦ | × الأب مريض ولا يعمل<br>× الأخ يعمل في الفخارية<br>× الأسرة تعيش في غرفة واحدة |
| ١٩ | شعبان الترساوي (شهرته أحمد) | ٨,٥ | × | | | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ١٠ | الفخارية | ٩ | × مثل رقم ١٦ (أخ وأخت) |

| م | الإسم | السن | المدرسة | | | | العمل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ٢٠ | وليد عبد الغني | ٩,٥ | × | | | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٧ | الفخارية | ٦ | × يعمل الأب والأخ في الفخارية<br>× تعيش الأسرة في غرفة واحدة |
| ٢١ | محمد فتحي جاد الرب | ١٠ | × | | | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ ـ ٦,٥ | ١٥ | الفخارية | ٦ | × يعمل الأب في أعمال البناء<br>× تعيش الأسرة في غرفتين |
| ٢٢ | عمرو رجب عشري | ١٠,٥ | | × | الصف الثالث الإبتدائي | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٥ | الفخارية | ٧ | × يعمل الأب بائعاً متجولاً<br>× تعيش الأسرة في غرفة واحدة |

| م | الإسم | السن | المدرسة | | | | العمل | | | | الأسرة | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ٢٣ | محمد عبد الغني | ١٠,٥ | | × | الصف الأول الإبتدائي | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٨ | الفخارية | ٦ | × مثل رقم ٢٠ (أحمد) |
| ٢٤ | نبيل صابر عبيد | ١١,٥ | | ، | الصف الثالث الإبتدائي | الأسرة فقيرة | ٩ | ٦ | ٨ | الفخارية | ١٢ | × الأب مريض ولا يعمل (كان حارساً)<br>× تعمل أخته في الفخارية<br>× تعيش الأسرة في غرفتين |
| ٢٥ | سعيد علي ضيف | ١٢ | | | لا يزال ملتحقاً بالصف الخامس الإبتدائي | الأسرة فقيرة فهو يعمل ويدرس | ٩ | ٢,٥ (نصف يوم لمدة ٧ أيام) | ٥ | الفخارية | ٨ | × الأب مريض ولا يعمل<br>× لديه أخ يعمل في الفخارية<br>× لديه أخان بالمدرسة ويعملان لنصف الوقت في الفخارية |

| م | الإسم | السن | المدرســــــة | | | | العمـــــــل | | | | الأسرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | لم يلتحق | متسرب | الفصل الدراسي للتسرب | الأسباب | عدد الساعات يومياً | عدد الأيام | الأجر الأسبوعي بالجنيه | مكان العمل | عدد الأفراد | الظروف |
| ٢٦ | عمرو السيد جاد الرب | ١٢ | | × | الصف الأول الإعدادي | وفاة الأب | ٩ | ٦ | ١٥ | الفخارية | ٦ | × الأب متوفي<br>× تعمل الأم فراشة في مدرسة<br>× تعيش الأسرة في غرفة واحدة |
| ٢٧ | أحمد كريم فاضل | ١٣ | | × | الصف الأول الإعدادي المهني | لم يحب المدرسة | ٩ | ٦ | ١٥ | الفخارية | ١٠ | × الأب عاطل عن العمل<br>× لديه اخوان يعملان<br>× تعيش الأسرة في غرفة واحدة |

# (ب) الجسد

## (الحالة الصحية) *

نحاول هنا، تقييم الحالة الصحية لهذه العينة من الأطفال العاملين في ذلك المجتمع الشعبي، وقد حاولنا أثناء المقابلات الطبية معرفة التاريخ الصحي الراهن من الأطفال كل علي حدة، ومن المشرف عليهم في العمل كلما تيسر ذلك. كما حاولنا أيضاً الحصول علي معلومات حول أسرهم من إخوتهم وأخواتهم الأكبر سناً. ولقد حاولنا اكتساب ثقة الأطفال، وذلك لمساعدتهم علي عرض مشاكلهم وشكاواهم الصحية.

تمت الفحوصات الصحية العامة مع التركيز علي الوزن وبنية الجسم والقدرات الذهنية، إذ تشكل هذه الأمور معايير للصحة الجيدة. كما خضع الأطفال للفحص عن طريق عدة أطباء وجراحين وأطباء أسنان. وكانت هناك حاجة لإجراء بعض الفحوص للتأكد من التشخيص في بعض الحالات. وفي حالات أخري، واجهتنا مشكلات خاصة بعملية المتابعة والتشخيص أيضاً. أما الحاجة إلي متخصصين في مجالات بعينها، مثل الأطباء النفسيين،

---

* أعد هذا التقرير الطبي الدكتور هاني دانيال واصف، فله جزيل الشكر.

فكانت نادرة، وذلك لفحص بعض الحالات [1] التي نعتقد أن الأسباب الرئيسية للمشاكل الصحية التي يعانون منها تتعلق في الأساس بأنماط التفكير ومختلف المشكلات الاجتماعية التي يمكن أن تؤدي إلي إحداث حالة من القصور أو العجز، سواء علي المستوي الاجتماعي أو الذهني أو حتي الجسدي.

وقد بلغ عدد الأطفال الذين خضعوا للفحص الطبي ٦ أطفال من ورش إصلاح السيارات، و ١٥ طفلاً من الفخارية (٥ إناث و ١٠ ذكور)، و ٥ أطفال من المدابغ. وجدير بالذكر أن جميع الأطفال في سن التعليم المدرسي (حيث تتراوح أعمارهم من ٦ إلي ١٤ سنة).

وفيما يلي سنقدم موجزاً للتقارير التي تقيم الحالة الصحية لأطفال العينة :

**(١) الأطفال العاملون في ورش إصلاح السيارات (الميكانيكية) :**

١ ـ أسامة عبد المجيد (ذكر) : يبلغ من العمر ١٠ سنوات، وزنه وبنيته الجسدية في حالة متوسطة، ويتميز

---

(١) ظهرت لدي طفل واحد، يعمل في ورشة إصلاح سيارات، ميولاً لتحطيم الأشياء، فقد مزق صورتين، واحدة لنفسه والأخري لطفل آخر، كما حطم بعنف نباتاً موجوداً في مقر مركز الجيل !.

بقدرات عقلية [٢] جيدة. مصاب بحالة أنيميا خفيفة، ويعاني من نوبات متكررة من التهاب اللوزتين الحاد. كما أنه مصاب بحالة تسوس متقدمة في أسنان الفك العلوي. وهو يحتاج إلي استئصال اللوزتين.

٢ ـ أحمد محمد عبد العزيز (ذكر) : يبلغ من العمر ١٢ عاماً، وقدراته العقلية متوسطة، ولكنه أقل من المتوسط من زاوية الوزن وبنية الجسم. مصاب بالأنيميا الحادة، ويعاني من نقص في فيتامين أ .

٣ ـ عمرو مصطفي (ذكر) : يبلغ من العمر ١٢ عاماً، قدراته العقلية متوسطة، ولكن وزنه وبنيته دون المتوسط. مصاب بالأنيميا ويعاني من مرض روماتيزم القلب ويحتاج للمتابعة.

٤ ـ حسن زينهم (ذكر) : يبلغ من العمر ١٢ عاماً، وحالته العامة جيدة. يعاني من نقص في فيتامين أ، ولديه ضعف إبصار (يمكن معالجته بالنظارة الطبية) وحالة تسوس متقدمة في أسنان الفك العلوي (تحتاج للخلع).

٥ ـ صبري أسعد (ذكر) : يبلغ من العمر ١٣ عاماً. قدراته العقلية جيدة، ولكن وزنه وبنيته الجسدية دون المتوسط. مصاب بحالة أنيميا خفيفة، ويعاني من نوبات

---

(٢) نظراً لذكائه الواضح، ولكونه تسرب من المدرسة مؤخراً، فقد حاولنا إنقاذ أسامة وإعادته إلي المدرسة، ولكنه اختفي هو وأمه وأخوه بعد شجار أسري مع زوج أمه !.

متكررة من إصابات الجهاز البولي، فضلاً عن التهاب مزمن باللوزتين ونقص في فيتامين أ، وتسوس بالأسنان يحتاج للمتابعة.

٦ ـ وحيد السيد رمضان (ذكر) : يبلغ من العمر ١٣ عاماً. قدراته العقلية متوسطة، ولكن وزنه وبنيته الجسدية دون المتوسط. يعاني من إصابات مزمنة في الجهاز البولي، وأنيميا خفيفة، ونقص حاد في فيتامين أ، بالإضافة إلي حالة تسوس متقدمة في أسنانه تحتاج للمتابعة [٣].

## (٢) أطفال المدابغ :

١ ـ محمد فرج (ذكر) : يبلغ من العمر ١٠ سنوات، وقدراته العقلية متوسطة، في حين أن وزنه وبنيته الجسدبة دون المتوسط. يعاني من نقص في فيتامين أ، وإصابات متكررة في الجهاز البولي. كما يعاني من التبول الليلي اللا إرادي، والأنيميا الخفيفة، بالإضافة إلي ضعف إبصار (يمكن معالجته بالنظارة) ويحتاج للمتابعة.

٢ ـ محمود محمد محمود (ذكر) . يبلغ من العمر ١٢ عاماً. يعاني من نقص وزنه وبنيته الجسمانية. كما يعاني

---

(٣) أفاد مشاركته في «مشروع الرعاية الجزئية للطفولة العاملة» بمركز الجيل أبدى وحيد موهبة في مجال الرسم. هل تريد تصوير إحدى رسوماته الموجودة لدينا لتضاف للصور التي ستنشر في الكتاب؟

من إصابات متكررة في الجهاز البولي، وأنيميا خفيفة، ونقص في الفيتامينات.

٣ ـ أحمد محمد مصطفي (ذكر) : يبلغ من العمر ١٢ عاماً. مصاب بحالة أنيميا خفيفة، ويعاني من إصابات متكررة في الجهاز البولي والتهاب مزمن باللوزتين.

٤ ـ سامح كمال (ذكر) : يبلغ من العمر ١٣ عاماً. مصاب بحالة أنيميا خفيفة، ويعاني من نقص في فيتامين أ.

٥ ـ أيمن محمد عبد العال (ذكر) : يبلغ من العمر ١٤ عاماً. يعاني من التهاب مزمن في اللوزتين، ولديه بعض العيوب البصرية (يمكن معالجتها) كما يعاني من إصابات متكررة في الجهاز البولي وتسوس في الأسنان.

## (٣) أطفال الفخارية :

١ ـ سماح فرج (أنثي) : تبلغ من العمر ٧ سنوات. تعاني من نقص في فيتامين أ، وحالة تسوس متقدمة في الأسنان تحتاج للخلع. وهي الطفل الوحيد الذي تلقي تطعيمات في إطار برنامج الرعاية الصحية.

٢ ـ رشا السيد (أنثي) : تبلغ من العمر ٥ , ١٠ عاماً. تعاني من حالة تبول ليلي لا إرادي، وإصابات متكررة في الجهاز البولي، بالإضافة إلي حالة تسوس متقدمة في الأسنان وتحتاج إلي الخلع.

٣ ـ محاسن محمد خلف (أنثي) : تبلغ من العمر ٦,٥

عاماً. وزنها وبنيتها الجسمانية دون المتوسط، وتعاني من حالة أنيميا حادة وإصابات متكررة في الجهاز البولي، بالإضافة إلي نقص فيتامين أ.

٤ ـ رشا خلف (أنثي) : تبلغ من العمر ١١,٥ عاماً. لديها حالة أنيميا خفيفة، وتعاني من نقص في فيتامين أ، وبعض العيوب البصرية (يمكن معالجتها)، بالإضافة إلي إصابات مزمنة في الجهاز البولي.

٥ ـ أسماء محمد خلف (أنثي) : تبلغ من العمر ١٠ سنوات. وزنها وبنيتها الجسدية دون المتوسط. تعاني من أنيميا خفيفة ونقص في فيتامين أ، وعيوب بصرية بالإضافة إلي إصابات متكررة في الجهاز البولي.

٦ ـ كريم قرني (ذكر) : يبلغ من العمر ٨ سنوات. وزنه وبنيته الجسمانية دون المتوسط، ويعاني من الأنيميا.

٧ ـ شعبان (أحمد) السيد الترساوي (ذكر) : يبلغ من العمر ٨,٥ سنوات. وزنه وبنيته الجسمانية دون المتوسط. يعاني من حالة أنيميا حادة والتهاب صديدي في الملتحمة (باطن جفن العين)، وإصابات مزمنة في الجهاز التنفسي، والتهاب كبدي بالإضافة إلي إصابات متكررة في الجهاز البولي، وتسوس في الأسنان.

٨ ـ عمرو رجب (ذكر) : يبلغ من العمر ١٠,٥ سنوات، يعاني من بعض العيوب البصرية، والتهاب مزمن في اللوزتين وتسوس في الأسنان.

٩ ـ محمد فتحي جاد الرب (ذكر) . يبلغ من العمر ١٠ سنوات. يعاني من نقص في فيتامين أ، وعيوب بصرية، والتهاب مزمن في المثانة.

١٠ ـ وليد عبد الغني (ذكر) : يبلغ من العمر ٩,٥ سنوات. وزنه وبنيته الجسمانية وقدراته الذهنية دون المتوسط. يعاني من الأنيميا، ونقص فيتامين أ، وتسوس في الأسنان.

١١ ـ محمد عبد الغني (ذكر) . يبلغ من العمر ١٠,٥ سنة. وزنه وبنيته الجسمانية وقدراته الذهنية دون المتوسط. يعاني من الأنيميا ونقص فيتامين أ.

١٢ ـ نبيل صابر (ذكر) : يبلغ من العمر ١١,٥ عاماً. مصاب بالأنيميا، ويعاني ن نقص الفيتامينات، وإصابات متكررة في الجهاز البولي.

١٣ ـ سعيد عبد الفتاح ضيف (ذكر) يبلغ من العمر ١٢ عاماً. يعاني من نقص في فيتامين أ والتهاب مزمن في المثانة.

١٤ ـ عمرو السيد جاد الرب (ذكر) : يبلغ من العمر ١٢ عاماً. حالته العامة جيدة.

١٥ ـ أحمد كريم فاضل (ذكر) : يبلغ من العمر ١٣ عاماً. يعاني من التهاب مزمن في المثانة وتسوس في الأسنان.

## جدول رقم (١١)
## الحالة الصحية للأطفال العاملين في مصر القديمة

| م | البند | الحالة والنسبة |
| --- | --- | --- |
| ١ | حجم الأسرة | ٩٦.١٥ ٪ من الأطفال العاملين ينتمون إلي عائلات كبيرة العدد |
| ٢ | برنامج الرعاية الصحية والتطعيم | ٩٦.١ ٪ لا يعرفون أي شئ حوله |
| ٣ | الالتحاق بالمدرسة | ١١.٥٢ ٪ لم يلتحقوا بالمدرسة، بينما تسرب منها ٨٨.٤٧ ٪ |
| ٤ | الوزن والبنية الجسمانية | ٤٦.١٥ ٪ دون المتوسط |
| ٥ | القدرات الذهنية | فقط ١١.٥٢ ٪ دون المتوسط |
| ٦ | الإصابة بالأنيميا | ٦٩.٢٣ ٪ مصابون بالأنيميا |
| ٧ | نقص الفيتامينات وسوء التغذية | ٥٧.٦٩ ٪ يعانون من نقص فيتامين أ وسوء التغذية |
| ٨ | أمراض مزمنة | يعاني ٧٣ ٪ من الأمراض المزمنة<br>( أ) تشكل إصابات الجهاز البولي ٧٨,٩٥ ٪ من الأمراض المزمنة.<br>(ب) يشكل التهاب اللوزتين المزمن ٢٦.٣ ٪ منها.<br>(جـ) يشكل روماتيزم القلب ٥.٢٦ ٪ منها.<br>(د) يشكل الالتهاب الكبدي ٥.٢٦ ٪ منها |
| ٩ | العيوب البصرية أو ضعف الإبصار | ٣٠.٧٦ ٪ يعانون من عيوب بصرية ويحتاجون إلي نظارات |
| ١٠ | تسوس الأسنان | ٤٢.٣ ٪ يعانون من تسوس الأسنان |

## (جـ) العقل

## (الآفاق الذهنية)

لم نقم باختبار مقنن لقياس درجة ذكاء هذه المجموعة من الأطفال العاملين. ما كان يشكل أهمية أكبر بالنسبة لنا، هو معرفة ما يدور في عقولهم الصغيرة من زاوية رؤيتهم الصغيرة للعالم، وتصورهم للأعباء الملقاة علي عاتقهم، وطموحاتهم وأحلامهم. وما حصلنا عليه، في أحسن الأحوال، هو مجرد لمحات خاطفة مما يدور في أذهان هؤلاء الصغار، إذ أن الأطفال لا يترجمون تصوراتهم ببساطة في كلمات. هذا بصرف النظر عن مدي الصعوبة التي يلقاها الباحث وهو يحثهم علي الإفصاح والحديث. وكانت أول نتيجة للبحث كالتالي : الخجل، والاستجابة المترددة وغير المترابطة للأسئلة التي يوجهها الباحث، مع كل ما يتحلي به الباحث من ود ومحاولة للتبسيط. ومن ثم، فليس مثيراً للاندهاش أن نجد أن بعض الأطفال الذين كانوا جادين، بل وحتي متجهمين، أثناء المناقشات المقننة، كانوا علي النقيض من ذلك مرحين وسعداء ويمارسون «الشقاوة» بالمعني الفولكلوري في فترات اللهو أو عندما تلوح أول علامة يشعرون معها بالحرية والانطلاق.

أما النتيجة الثانية للبحث، فهي اختلاف الآفاق الذهنية للمجموعات الثلاث، علي المستوي الجماعي. حيث يمكن

ترتيبهم من حيث اتساع الأفق الذهني علي النحو التالي : الأطفال الميكانيكية، ثم أطفال المدابغ، ويليهم أطفال الفخارية (الذكور والإناث). ويبدو واضحاً أن طبيعة وموقع العمل يلعبان دوراً هاماً في تحديد الآفاق الذهنية للطفل العامل، هذا إضافة إلي الخلفية الأسرية. فالميكانيكية أطفال يرقبون الشارع، وذلك بحكم موقع ورش العمل المتناثرة. ولديهم أيضاً خبرة في رؤية، إن لم يكن التعامل مع، مختلف العملاء ومختلف التجار في المنطقة المجاورة لموقع عملهم، إنهم معرضون، بشكل عام، لحياة الشارع المفعمة بالحيوية. أما الصبية الذين يعملون في المدابغ، فموقع عملهم مغلق نسبياً، ويلتقون في فترات العمل مع بعضهم البعض وعلي الأكثر مع الكبار العاملين في نفس المهنة. ويتشابه معهم من حيث العمل في مكان مغلق أطفال الفخارية، إلي جانب شعورهم إلي حد ما بأنهم مبنونون هم أنفسهم مثل موقع عملهم. كما أن سكناهم علي هامش الفخارية نفسها، وفي وسط تجمع من الأسر الريفية حديثة الهجرة، تجعل تعرضهم للحياة الأخري محدوداً جداً، حتي علي الرغم من أنهم يعيشون علي بعد مسافة قصيرة من حي سياحي مفعم بالحركة والحيوية. ومرة أخري، فإن النموذج التقليدي للطفل العامل «بلية» المقهور والخاضع ينتفي إثباته علي المستوي الذهني، إذ أن بلية العامل في ورشة حرفية مطلة على الشارع، علي النقيض مما هو شائع، هو الأكثر حيوية وذكاء وخبرة وقدرة علي التعبير والتعامل المباشر مع مختلف الناس.

وكانت النتيجة الثالثة للبحث عند هذا المستوي تتعلق

بمجال طموحات وأحلام هؤلاء البشر الصغار. حيث نفاجأ في الأغلب بعدم وجود أحلام لديهم. إنهم يختلفون في آرائهم وطموحاتهم بشأن التعليم، إذ يرغب البعض منهم (وهم أقلية) في العودة للمدرسة مرة أخري بجدية. ومع ذلك فقد أجمعوا كلهم في تعبيرهم عن عدم وجود «أحلام» لديهم. ولم يظهر في العينة الثلاثية سوي ثلاثة استثناءات :

- طفل ميكانيكي يحلم بالحصول علي دراجة.
- طفل من المدابغ يحلم بالحصول علي حذاء كوتشي.
- أصغر صبي من الفخارية يحلم بكعكة يخبزها بنفسه.

إن الحلم، علي الأقل كما نعرفه نحن في عالمنا الآخر، قد حلت محله لدي هؤلاء الصغار سيكولوجية أخري لا تقل عمقاً : شعور عميق «بالمسئولية» تجاه الأسرة. إذ يتحلي الأطفال العاملون بدرجة عالية من الوعي بشأن ضرورة كسبهم لرزقهم الذي يتوقف عليه مصير الأسرة. إنهم لا يتعاملون مع هذه المسألة بخفة، ويتمسكون تماماً بمسئوليتهم. وربما يشكل ذلك حلمهم الضمني والثابت كبشر صغار عمليين.

كما أن الغياب الفعلي للحلم التقليدي لا يلغي «الطموح» من تصوراتهم. فبخلاف إنجاز مسئوليتهم تجاه الأسرة - وهو أقصي طموح - نجد أن هناك طموحاً جانبياً (مضمراً أو معلناً) لدي البعض منهم، وهو أن يصبحوا

أصحاب عمل بدلاً من عمال، أو علي الأقل يصبحون عمالاً مهرة عندما يكبرون أو من كبار العمال نوي الدخول المرتفعة (أسطوات). ويصدق ذلك بنفس ترتيب الترجيح : الميكانيكية أولاً، ثم أطفال المدابغ ثانياً، ويليهم أطفال الفخارية ثالثاً. وربما يأتي ذلك تمشياً مع حجم الوحدة الإنتاجية في الصناعة المعنية وتكلفة الإنتاج. فمن الأسهل أن يطمح الواحد لامتلاك ورشة أو دكان عن أن يطمح لامتلاك مدبغة أو دولاب فخار أي مصنع.

ولتقديم مزيد من اللمحات حول مواقف أطفال العينة وآفاقهم الذهنية، ولإتاحة الفرصة لعمل مقارنة بسيطة بين المجموعات الثلاث، فقد قمنا، في الجدول التالي، بتجميع مقتطفات مما قاله هؤلاء الأطفال العاملون في المناقشات المقننة كرد علي الأسئلة والقضايا التي طرحها عليهم الباحثون [١] [يجري تعريف كل طفل عن طريق الرقم المسلسل الذي يشير إليه في الجدول السابق رقم (١٠)].

---

(١) للاطلاع علي مناقشة سابقة مع الأطفال العاملين في المدابغ، راجع تقريرنا بالإنجليزية سابق الإشارة إليه : نتائج مشاورة مع الأطفال العاملين، منظمة اليونيسيف، القاهرة، يوليو ١٩٨٦ .

## جدول رقم (١٢)
## آراء وأفكار الأطفال العاملين في مصر القديمة

**(١) الموقف تجاه العمل بشكل عام، وتجاه الجهد المبذول في العمل والمكافأة التي يحصلون عليها بشكل خاص**

| المدابغ | ورش السيارات | الفخارية |
|---|---|---|
| × كنت باخد خمسة وتلاتين عادي، ولكن من سنة بقيت أحسبها له، أصل أنا كنت بايت امبارح ثلاث ساعات أحسبها له ويحسب، أحياناً آخذ خمسة وخمسين. (٥)<br>× باسهر لغاية اتناشر بالليل ولواحدة بالليل. في رمضان بنقعد لحد أربعة الفجر. (١)<br>× أنا مبسوط إني باشتغل علشان ما اطلعش صايع وعاوز أقف علي رجلي، عشان ما أبقاش صايع. (٣)<br>× احنا مبسوطين في الشغل. (الجميع). | × انا ماحب الشغل وما احبش اقعد عاطل. (٦)<br>× انا امبارح كنت فرحان عشان كان فيه شغل، وكنت باشتغل كويس وعشان كمان كان يوم السبت وهو يوم القبض (٧)<br>× يوم السبت بيبقي عندنا شغل كتير، ساعات بنبقي ملاحظين وساعات لا يوم السبت ده أتعب يوم، ولكن اليوم اللي مافيش فيه شغل الواحد بيبقي زهقان لأنه مابيتعلمش حاجة. ولما يبقي فيه شغل كتير الواحد ما بيحسش باليوم والتعب. (١١)<br>× لما بيبقي مافيش شغل اليوم بيعدي زي ما يكون نكد علينا واليوم بيجري بسرعة طالما إحنا شغالين (١٢)<br>× أنا مبسوط من الاجر اللي باخده (٧)<br>× أنا ميهمنيش، الفلوس مش إشكال أهم حاجة الصنعة. (١٣)<br>× أنا باخد أجر قليل، لكن المهم إني اتعلم علشان لما اكبر ماحدش مايبلعنا كمان الاسطي حدع، ولما بيجيب حاجة بيجيبلي معاه، بيروح يتغدي في البيت ويجيب لي معاه زي مااكل زي مايجيبلي (١٠)<br>× في العيد باخد عيدية (٥ . ٢٠ جنيه) (الجميع). | × أنا سبت المدرسة بمزاجي واشتغلت بمزاجي. (٢٧)<br>× أنا بحب الشغل علشان بيجيب لنا فلوس. (١٩، ٢٠)<br>× أنا مش عايز أشتغل لكن غصب عني علشان أجيب فلوس. (٢٥)<br>× بحب الشغل علشان بيجيب فلوس من عرقي، يعني مش سرقة. والواحد لما يجيله فلوس من عرق جبينه أحسن. (٢٧)<br>× بعض سواعي باتعب من الشغل وسواعي لأ. (١٩)<br>× أنا برمي الكاوتش في الفرن ومش باحس بالدخان الأسود لأني واخد عليه. (٢٧) |

(٢) الموقف تجاه صاحب العمل بشكل عام، وتجاه سوء معاملته اللفظية أو البدنية بشكل خاص.

| المدابغ | ورش السيارات | الفخارية |
| --- | --- | --- |
| × لما باغلط أبويا بيديني شلوتين. (٣)<br>× لما باغلط الأسطي بيقولي ما اكررهاش تاني لكن مش بيضربني. (٢)<br>× ساعات شلوتين وساعات بيضربني بالقلم. (١) | × لما بيبقي مافيش شغل بابقي زعلان علي الاسطي، بالاقيه واقف كده ومتضايق وبازعل علي زعله (١٢)<br>× لما يبقي مافيش شغل بابقي متضايق لان الاسطي مابيبقاش معاه فلوس، وساعات ما بقبضش اما يكون مافيش شغل (٩)<br>× الاسطي الاولاني اللي اشتغلت معاه كان بصراحة طيب. كنت كل يوم اتشطف واروح افير عنده، وساعات يجيبلي رغيف من عند الكبابجي، وكان بيخليني أتفرج عا الفيديو. لكن انا سبته لان المدام بتاعته بتتآمر علي. (١٢)<br>× الاسطي بيضربنا علشان نطلع رجالة من صغرنا. وزي ما اتعمل فيه بيعمل فينا وعلشان كده أنا مش باتضايق ومش بازعل علشان هو بيعمل كده لمصلحتي عشان أعتمد علي نفسي (١١)<br>× الاسطي بيضربنا وبعد كده بيصالحنا ويضحك معانا هو بيضربنا بس علشان يعلمنا (١٠)<br>× الاسطي ساعات كان بيروحني وبيجيبني بالعربية، عربيته أو عربية الزبون اللي موجودة عنده وكان بيحبني علشان أنا شبهه (٦)<br>× الاسطي كان بيهتم بيه علشان له ابن مات وكان شبهي. (٧) | × الأسطي مابيضربناش ... واللي بينضرب مابيجيش تاني الشغل. (٢٥)<br>× اللي بيغلط بينضرب، مابيضربش شلوت لكن بيضرب بالعصاية. (١٨)<br>× اللي بيكسر حاجة بينضرب، حتي لو وقعت غصب عنه. (٢٧)<br>× أنا انضربت كتير، علشان لو وقع مني حاجة وانكسرت بيضربني. (١٦)<br>× أنا مبسوط، لكن لما أكون زعلان مش باروح الشغل. ولما أحس إن أنا مظلوم ومتضايق ومابيدونيش فلوس نازعق لهم واتخانق معاهم علي طول. (٢٧) |

(٣) الموقف تجاه التعليم والعودة مرة أخري.

| المدابغ | ورش السيارات | الفخارية |
| --- | --- | --- |
| × أنا طلعت من المدرسة من سنة رابعة لكن أنا علي طول بامسك الجربال علشان مانساش انا كنت عاوي المدرسة بس موضوع المصاريف هو السبب (٥)<br>× أنا مش عاوي مدرسة، فالشغل أحسن ومش عاوز أرجع المدرسة تاني كمان أنا معرفش أجمع الشغل مع التعليم عشان لما أجي من الشغل تعبان أخش إزاي علي التعليم ، (٢)<br>× أنا كنت عايز المدرسة بس ابويا طلعني وأنا ساعات باعيط لما الاقي حد رايح المدرسة وبيعطني وعشان كنت ساعات بحدفهم بالطوب وجوز اختي بيقولي ياللي مارحتش المدرسة (٣)<br>× أنا مش عاوز اروح المدرسة (١)<br>× أخويا بيروح المدرسة، وأنا ماحس إن هوه بيتعلم ويعرف حاجة لكن أنا ربي ربه علشان أنا باتعلم صنعة (٢)<br>× أنا باحس إن أخويا أحسن مني علشان هو بيروح المدرسة وأنا طلعت منها، مع إني بجيب فلوس وهو ما بيجيبش (٣)<br>× أنا أحسن من أخويا اللي بيروح المدرسة عشان أنا باتعب وهو مابيتعبش (١) | × أبدي أسامة (٧) وصبري (١١) فقط رغبة شديدة في العودة إلي المدرسة مرة أخري | × في المدرسة كان المدرسين بيضربوني وكنت بتخانق معاهم علي طول. أنا أكره المدرسة. (٢٧)<br>× أنا بروح المدرسة لحد دلوقتي، وأنا في سنة خامسة ابتدائي وباشتغل نص يوم بعد المدرسة وباذاكر في البيت بالليل (٢٥)<br>× كان نفسي أروح المدرسة لكن مافيش فلوس (١٥)، (١٨)، (١٩) |

| (٤) الشعور بالمسئولية نحو الأسرة. | | |
|---|---|---|
| المدابغ | ورش السيارات | الفخارية |
| × أنا حاسس إن أنا مرتاح عشان قايم بالمسئولية وبأصرف ع البيت. (٥)<br>× أنا لوحدي اللي بأصرف في البيت، وبيتنا فيه أربعة أبويا عيان وأمي، وعندي أختين بنات مش بيشتغلوا. (٢)<br>× كان نفسي أشتغل وأصرف علي أمي بدل ما أخذ مصروفي من أبويا اللي باشتغل معاه. أنا كمان عاوز أرجع المدرسة لكن لازم أشتغل عشان أصرف علي أمي. (٣) | × ساعات بنبقي مزنوقين والأسطي بيسلفني وبعد كده يخصم مني. (٧)<br>× في يوم كان أمي مممعاهاش فلوس، فجت تقولي خد مصروفك، قلتلها لا وقعدت أعيط بالليل وهي سألتني بتعيط ليه، قولتلها علشان مماكيش فلوس وقالت لي ماتعيطش أنا معايا (١٢)<br>× إذا ماشتغلناش فأهلنا حيبقوا مزنوقين ويمكن جعانين (الجميع) | × أنا عاوز أجيب لقمة العيش لإخوتي (الجميع)<br>× إذا ماشتغلناش حاتكون حياة أسرتنا صعبة ولازم نرجع الريف مرة تانية (الجميع). |

(٥) إمكانية اللعب وقضاء وقت الفراغ واكتساب الأصدقاء.

| المدابغ | ورش السيارات | الفخارية |
|---|---|---|
| × عندنا تليفزيون في البيت. (الجميع).<br>× بأحب سلاحف النتجا. (٢) | × يوم الأحد باقعد في البيت مع أمي وأشوف طلباتها واشتري لها اللي هي عاوزاه. ومش بالعب ولا باختلط مع حد، بس باختلط مع نفسي أنا. وما عندناش ولا تليفزيون ولا راديو. (١١)<br>× يوم الأحد باساعد أمي، وبعدين بالعب كورة مع صحابي، أنا عندي ٥ أو ٦ أصحاب وعملنا فريق كورة وبنلعب في الشارع. (١٩)<br>× أنا باشتغل أحد وأحد. ولما يكون يوم احد أجازة باقعد في البيت وباساعد أختي. أنا ماليش في اللعب ولا ليه في الكورة ولا ليه في حاجة خالص. (١٢) | × ماليش غير بنتين صحباتي بيشتغلوا معايا في الفخارية. (١٦) |

## ٥ ـ مكافحة عمل الأطفال في مصر :

### حكومياً .. وأهلياً .. ودولياً

يمكن تناول عملية مكافحة عمل الأطفال علي ثلاثة مستويات : ما تقوم به الحكومة المصرية، وما يقوم به نشطاء المنظمات غير الحكومية في المجتمع المصري، وأخيراً ما تقوم به الأطراف الدولية للتأثير في الوضع المحلي.

### ( أ ) علي المستوي الحكومي :

حتي وقت قريب، لم تقم الحكومة المصرية بعمل ملموس في مجال مكافحة ظاهرة عمل الأطفال. لقد كانت ضرورات الفقر والإنتاج أسباباً كافية لتبرير موقف الحكومة الميال للتغاضي الفعلي عن وجود هذه الظاهرة. ويمكن تقييم الموقف الحكومي بشكل عام من خلال «القرار» (القانون) و «الفعل». وبينما لا تحتكر الحكومات الأفعال إلا أنها تحتكر اتخاذ القرارات بمعني سن القوانين. ومن ثم، يعد النظام القانوني نقطة انطلاق بالنسبة لدراسة الموقف.

وتتسم تشريعات العمل في مصر بالليونة تجاه تشغيل الأطفال بشكل عام، سواء من خلال العمل المدفوع الأجر أو غير المدفوع. وهنا تبرز سمتان أساسيتان للتشريع

المصري : وهما السماح بعمل الأطفال تحديداً في الزراعة، وتحديد الحد الأدني لسن العمل بـ ١٢ سنة حتى عام ١٩٩٦ (قانون العمل رقم ١٣٦ لسنة ١٩٨١ ـ المادة ١٤٤). وهذا التحديد للحد الأدني لسن العمل يضع مصر ضمن أقلية من الدول النامية التي حددت الحد الأدني لسن العمل عند هذا المستوي المنخفض. أما بقية صورة البنية القانونية، فيمكن رسمها باستخدام أسلوب الإقصاء، بمعني أن الحكومة تكافح فقط الأشكال التالية من عمالة الأطفال :

١ ـ الأطفـــال أقل من ١٢ سنة (من ٦ ـ ٩, ١١ سنة مثلاً). وذلك حتى عام ١٩٩٦ حين رفع الحد الأدنى لسن العمل إلى ١٤ سنة.

٢ ـ في مجال الصناعة والحرف فقط.

ومع افتراض حدوث هذا النوع من المكافحة، فإن نطاق المكافحة هذا يعتبر ضئيلاً من الأصل.

ومع ذلك، فإن هذا النطاق الضيق يشهد توسيعاً إلي حد ما، وذلك من خلال نصوص قانون العمل التي تقرر معاملة خاصة للحدث (الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٧ سنة) مثل عدم السماح له بالعمل أكثر من ٦ ساعات يومياً (المادة ١٤٦). وتؤدي قرارات وزارية أخري نفس الغرض، عن طريق منع الحدث من العمل في مجالات معينة تتسم بالعمل الشاق (بين ١٢ و ١٥ سنة) وفي مجال الأعمال الخطرة (بين ١٢ و ١٧ سنة).

إلا أنه مع وجود التساهل والتغاضي، ومع وجود ذلك التقليد الاجتماعي الذي ينظر إلي عمل الأطفال كأمر طبيعي، فإن مكافحة عمل الأطفال لم تكن حتي عهد قريب بنداً جدياً من بنود برنامج الحكومة. فلم يتوفر الدافع إلا مؤخراً للتوقيع أو التصديق علي اتفاقية العمل الدولية رقم ١٣٨ بشأن الحد الأدني لسن العمل (ناهيك عن التوصية رقم ١٤٦)، حتي برغم أن مصر قد مضت قدماً لتوقيع حوالي ٦٠ اتفاقية من اتفاقيات العمل الدولية. ومن ناحية أخري، لا تشير آلية تنفيذ القانون - حتي في هذا النطاق المحدود - إلا إلي محدودية إمكانية وضع القانون موضع التنفيذ. هذا، علي الرغم من وجود ٤٥ مكتب لتفتيش العمل، مع ٢٠٠ مكتب فرعي، و ١١٥ مكتب مختص بشئون السلامة والصحة المهنية (١) .

إن أسلوب أداء نظام تفتيش العمل السائد الآن في مصر لا يسمح بأي شئ يزيد عن التطبيق الرمزي للقانون. فالزيارات الروتينية والحملات التفتيشية لا يمكنها أن تخفي ضعف نظام التفتيش أمام أصحاب العمل. وبينما لا يمكننا استثناء مصر من اللعبة العالمية الخاصة بالمناورة بين «منفذي القانون ومنتهكي القانون»، فلا يمكننا أيضاً تجاهل تلميحات أصحاب العمل بشأن فساد

---

(١) إصلاح أمين (مدير العلاقات الدولية بوزارة العمل)، تقرير موجز عن ظاهرة عمالة الطفل، ندوة مكافحة ظاهرة عمل الأطفال في الوطن العربي، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٤ .

بعض الرجال الذين يأتون للتفتيش عليهم (قال واحد من أصحاب العمل في المدابغ إنهم يأتون في الأعياد ليأخذوا نقوداً). ومن ثم يظل جوهر المشكلة هو حجم جهاز التفتيش الصغير. وقبل فترة عرضت مجلة «نيوزويك» الصورة التالية :

*«إن قوانين العمل في القاهرة تمنع توظيف الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٦ سنة (التصحيح : ١٢ سنة وقتها). ومع ذلك، فعادة ما يقوم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٠ سنوات بأعمال الحفر، ونقل مواد البناء لمواقع العمل، كما يعملون أيضاً في المصانع الخاصة الصغيرة. ويصعب كبح جماح هذه الممارسات نظراً لوجود ٥٠ مفتشاً فقط لتنظيم الأمور في مدينة يبلغ تعدادها ١٥ مليوناً. ماذا يمكننا أن نفعل مع وجود هذا العدد ؟ هكذا كان تساؤل أحد المفتشين. نحن نحتاج إلي ٢٠٠٠ مفتش للتفتيش علي ٥٠٠ منشأة !»* (٢) .

ويقدم نبيل رياض موسي، مدير مكتب تفتيش العمل بمصر القديمة والمعادي، صورة أكثر صراحة (٣) :

** طبقاً لقانون العمل ١٣٧ لسنة ١٩٨١ يلزم مكاتب العمل بالتفتيش علي جميع منشآت القطاع الخاص من حيث التأمين علي العاملين ومدي تحرير عقود عمل وفترة اختبار لا تزيد علي ٣ شهور. ويكون لكل عامل ملف به*

---

(٢) Newsweek, Jan, 24, 1983.

(٣) مقابلة تمت أثناء إجراء الدراسة المبكرة حول المدابغ.

عقد العمل وإجازاته السنوية وإجازات المواسم وتدرج أجره طبقاً للقانون وإجازاته المرضية وتقاريره السرية وتأميناته وحالته الاجتماعية. أي التفتيش الكامل علي كل ما يخص العمل والعمال من مواعيد العمل إلي صيدلية الإسعاف. والتفتيش علي القانون ٤٥٣ لسنة ١٩٥٤ وهو قانون الرخص للمنشآت بنشاطها الموجود. وإذا كانت محلات طعام لابد أن تكون لديها شهادة صحية وحماية المحل من أخطار الحريق ولابد من وجود طفايات. وكذلك قانون ٣٧١ لسنة ١٩٥٦ والقانون ٣٧٢ لسنة ١٩٥٦ وهما خاصان بالتراخيص.

* المنشآت الصناعية لها اشتراطات أمن صناعي وتراخيص معينة. وفي المنشآت الكبيرة لابد من موافقة هيئة عامة في وزارة الصناعة علي هذا الترخيص.

* هناك في دائرة المكتب توجد منشآت بلاستيك وحدايد ومسامير وأحذية ودباغة جلود ومصانع بويات ومصانع خشب وورش ألوميتال. بالإضافة للورش الصغيرة. وكلها تخضع لشروط الترخيص:

* القوة الوظيفية ناقصة تماماً لأن المكتب يقوم بالتفتيش علي مصر القديمة والمعادي والبساتين (٣ أقسام بوليس). أي لا يوجد سوي ٤ مفتشين لا يستطيعون القيام بهذه الأعمال الكبيرة. والمفروض أن تزيد القوة إلي ٧ ـ ٩ مفتشين. والسبب أن أحداً لا يريد العمل بالحكومة حيث العمل في الشركات الاستثمارية أفضل. أي ٣٠٠ جنيه مرتب أفضل من ٤٠ جنيها مرتب. وثانياً القوي العاملة

(تعيينات الوزارة) ترشح أغلبية من السيدات حيث الرجال في الجيش بعد التخرج أو يريدون العمل في شركات استثمارية. وعجز العمالة منذ مارس ١٩٨١ منذ فصل المناطق حيث أنشئت منطقة عمل مصر القديمة والمعادي التي كانت سلفاً منطقة جنوب حيث كان هناك ٨ مفتشين في هذا المكتب وكان يضم الجنوب قسمين فقط (مصر القديمة والسيدة زينب والخليفة) بعكس الآن ٣ أقسام في المكتب الواحد وليس في المنطقة. حيث تم توزيع قوة المفتشين لقرب محل سكنهم. وهناك نقص في جميع المناطق وسوء تخطيط. وفي ظل هذا العجز نحن نغطي المناطق التي نستطيع بقدر الإمكان فنقوم في عشر سنوات بما كان يجب أن نقوم به خلال ٣ سنوات. ولذلك هناك مناطق كبيرة غير مغطاة إطلاقاً نتيجة هذا النقص الشديد. ١٤,٢٦٣ هذا هو العدد الإجمالي للمنشآت في الدائرة (وهذا حصر قديم وربما زادت إلي عشرين ألف حالياً - حصر ١٩٧١ تقريباً) ومن الصعب جداً تغطية هذا العدد. ورغم ذلك غطينا حوالي ٦٠ ٪ من المنشآت حيث يفتش المفتش علي ١٥ منشأة كل يوم بدلاً من ٣ . ويحرر محضر جنحة للمنشآت المخالفة لقوانين العمل وتقدم للمحكمة. ولذلك فإن تكرار التفتيش صعب لنفس المنشأة. وقدمنا طلبات لا تحصي لتزويد قوة المكتب. وذلك «للمديرية المركزية للقوي العاملة بالقاهرة» التي لا تستطيع الاستجابة إلي طلباتنا. وقد حررت آلاف المخالفات للمنشآت. وكثير من المنشآت ينفذ القانون لأن العقوبات صارت رادعة ليس كالسابق، حيث يحكم القاضي بآلاف الجنيهات ضد المخالف حسب عدد العمال.

* وبالنسبة للأطفال أقل من ١٨ سنة يصبح حدثاً ولابد له من عقد تدرج مهني. وهذا من ١٢ ـ ١٨ . وإذا وصل إلي ٢١ سنة يؤمن عليه تأميناً كاملاً. وأقل من ١٢ سنة يحرر محضر جنحة. وقد حررت بالفعل محاضر ضد أصحاب العمل الذي يوظفون أطفالاً أقل من ١٢ سنة. وهذا غالباً يتم في مجال الجلود والورش. وهذا يسبب للأطفال أمراضاً مهنية. وأكثر الجوانب مخالفة هو عدم عمل عقد عمل للعامل لتجنب مزايا القانون بالنسبة للعامل.

* بالنسبة للمدابغ لم نفتش عليها منذ ٣ سنوات وقد بدأنا نفعل ذلك منذ شهر واحد. وخلال الشهر الماضي حررنا حوالي ٢٠ ـ ٣٠ محضر. ولكن بعض أصحاب العمل يعاود مخالفة القانون لكن بصورة أقل. وهناك شكاوي ترد للمكتب من عمال يقوم المكتب بالتحقيق فيها. والمخالفات تشمل المنشآت من كافة الأحجام. والمخالفات عموماً تكون أكثر في المنشآت ذات العمالة الكبيرة. ونفس الشئ بالنسبة لتشغيل الأطفال تحت سن ١٢ سنة. ويقوم المكتب بتقديم إذن كتابي للطلبة الراغبين في العمل أثناء الصيف وذلك لإعفائهم من التأمينات الاجتماعية. حيث أعطينا الإذن هذا العام لحوالي ٣٠ ـ ٤٠ طالباً. لكن كلهم في سن العمل.

مصر القديمة ـ أغسطس ١٩٨٥

ونتساءل : هل هناك كلمات أخري يمكن إضافتها لهذه الصورة المأساوية ؟ ! مع تخصيص ٤ مفتشين للتفتيش علي ٢٠,٠٠٠ منشأة، فإن محنة نبيل رياض موسي لا

تقل عن محنة الأطفال العاملين الذين من المفترض أن يحصلوا علي الحماية من خلاله !.

علي أية حال، تشير أرقام أحدث إلي زيادة نشاط تفتيش العمل :

جدول رقم (١٣)

نشاط تفتيش العمل في مجال عمل الأطفال

١ / ٧ / ١٩٩٣ _ ٣٠ / ٦ / ١٩٩٤

| م | البند | العدد |
|---|---|---|
| ١ | عدد الأحداث الذين خضعوا للتفتيش الدوري (صباحاً ومساءً) | ٣٤٩١٠ |
| ٢ | عدد الأحداث الذين وقعت بشأنهم المخالفات | ١٧٣٠٥ (٥٠ ٪ من الذين خضعوا للتفتيش) |
| ٣ | مجموع المخالفات المحررة لتشغيل الأحداث | ٣٦٧٩ |

المصدر : فاروق عبد العال (مدير تفتيش العمل)، استخدام الأحداث، ندوة الحد من عمالة الأطفال في مصر، وزارة العمل، مارس ١٩٩٥ .

إذا كانت هذه الأرقام تتعلق بمليون وثلاثمائة ألف طفل مسجلين كعمال في عام ١٩٨٨، فيبدو الأمر كقطرة في المحيط. ولكن إذا كانت هذه الأرقام تتعلق بـ ١٨٩,٠٠٠ طفل يعملون في المناطق الحضرية (وهي مهمة تفتيش العمل نظراً لأن عمالة الأطفال مسموح بها في الزراعة)، فإن الأرقام المطروحة في الجدول السابق تكون أكثر

تعبيراً عن تطور الوضع. إلا أن الأرقام ينبغي أن تنسب للمجتمع الفعلي للأطفال العاملين الذين لا نعرف عددهم علي وجه الدقة، كما أن الأرقام الصماء حول تفتيش العمل لا تخبرنا بما وصل إليه التفتيش من نجاح ليس في فرض الغرامات وإنما في المساعدة علي محاصرة وإنقاص تشغيل الأطفال بعد دفع الغرامات بالفعل.

وحين تسأل الحكومة عن «أفعالها» في مجال المكافحة، نجد أنها عادة ما تقدم أرقاماً حول تفتيش العمل، تتبعها بمجموعة أخري من الأرقام تتعلق بالتدريب المهني والتلمذة الصناعية للصغار (من ١٢ إلي ١٧ سنة) لإعدادهم للعمل في ظل شروط أفضل. والمثال علي ذلك هو الأرقام المعطاة لعام ١٩٨٧ وهي : ٥٥٢ مركزاً للتدريب المهني، و ١٠٨,٣٤١ فرصة تدريبية، و ٨٤,٦٠٣ متدرب فعلي [٤] . ولكننا نتساءل مرة أخري : لأي دائرة أكبر من الجمهور تنسب هذه الأرقام ؟.

علي أية حال، ما يهمنا أكثر في تقييم القوانين والأفعال الحكومية من أجل مكافحة عمل الأطفال هو تلك الشوكة الثلاثية التي تمسك بها الحكومة وتساعدها علي الاضطلاع أكثر بدورها في نهاية المطاف :

أولاً : بدأ الاهتمام الرسمي بمواجهة عمل الأطفال

---

(٤) اليونيسيف والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، تقرير عن أعمال اللجنة الوزارية لدراسة ظاهرة عمالة الأطفال، أكتوبر ١٩٨٩، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

كـمـشكلة يزداد منذ عـام ١٩٨٨، مع تشكيل لجنة وزارية تضم ١٤ عضـواً لدراسـة القـضـيـة [٥]، وانتـهـاءً بإنشاء «وحدة عمل الأطفال» [٦] عام ١٩٩٤ بوزارة العمل (وإن تكن هذه الوحـدة ملحـقـة بإدارة العـلاقـات الدوليـة بالوزارة، كما لو كان الغرض منها الاستهلاك الدولي أكثر منه الاهتمام القومي الأصيل). لقد أصبح مسئولو وزارة العمل وجوهاً مألوفة - وإن تحدثوا عادة بلهجة دفاعية [٧] - في الندوات الأكاديمية والعلمية التي تنعقد حول ظاهرة عمل الأطفال. وأخيراً، فقد بدأوا في إطار وزارة العمل نفسها تنظيم ندوات ودورات تدريبية حول الموضوع، واقترحوا في البعض منها اتخاذ إجراءات حكومية أكثر صرامة مثل معاقبة أولياء الأمور الذين لا يرسلون أطفالهم للتعليم المدرسي، وسجن أصحاب الأعمال الذين يستخدمون أطفالاً تحت سن العمل المسموح به قانوناً [٨].

---

(٥) نفس تقرير اللجنة الوزارية.

(٦) برئاسة نادية الجزار ثم عزة عقيل. راجع أيضاً قرار «اللجنة التوجيهية العليا» لإنشاء برامج خدمة متكاملة للأطفال في الوحدات الإنتاجية (جريدة الأهرام، ١٦ / ٢ / ١٩٩٥).

(٧) علي سبيل المثال الملاحظات الدفاعية التي قدمها فاروق عبد العال، مدير تفتيش العمل، وذلك في ندوة عمل الأطفال التي نظمها المجلس العربي للطفولة والتنمية في ديسمبر ١٩٩٤.

(٨) اقتراحات فاروق عبد العال نفسه في ورقته التي قدمها في ندوة مارس ١٩٩٥ (مرجع سابق).

ثانياً : إن القطاع العام الذي يلتزم عموماً بالقانون بشأن عدم تشغيل الأطفال الأقل من السن المباح قانوناً، وغيره من النصوص الخاصة بتشغيل الأحداث (وإن لم يكن بريئاً تماماً من مخالفة القانون) يظل هو خط الدفاع الأول في مجال المقاومة الحكومية لعمالة الأطفال.

ثالثاً : المشروع الجديد لقانون العمل الموحد برفع الحد الأدني لسن العمل إلي ١٤ سنة (٩) . وإن سبقه إلى ذلك بالفعل إصدار قانون حماية الطفولة (١٩٩٦) الذي رفع السن إلى هذا الحد بالفعل. هذا بجانب تصديق مصر على الاتفاقية الدولية رقم ١٣٨ . ولكن هناك تساؤلات حول إمكانية ذلك في ظل السماح الرسمي والسلوك المجتمعي تجاه عمل الأطفال في الزراعة (وهي التي تستوعب الجزء الأكبر من الأطفال العاملين). ويبدو أن هذه التساؤلات سوف تنتظر فترة أطول حتي تجد إجابة عنها !.

وهناك تساؤل عام آخر حول التعبئة الفعلية للإمكانات الكلية الكامنة لدي الحكومة في مجال مقاومة عمل الأطفال. فالبادي أن هذه المهمة إنما تؤدي بشئ من منطق التخصص الذي يترك الأمر أساساً لوزارة الشئون الاجتماعية، ووزارة التعليم، ووزارة العمل. بينما تبدو وزارات الصناعة، والزراعة، والصحة، والإدارة المحلية خارج دائرة التأثير كهيئات حكومية يفترض منها أيضاً أن تواجه المشكلة. والأمر الأكثر أهمية هو وقوع الهيئات

---

(٩) جريدة الأهرام، ٨ / ٣ / ١٩٩٥ .

الحكومية المخصصة للطفولة خارج هذا المجال عملياً حتى عن قريب حين بدأت تلتفت للأطفال العاملين في السنوات الأخيرة، خاصة «المجلس القومي للطفولة والأمومة» [١٠] (الذي تأسس عام ١٩٨٨). والجامعات أيضاً كانت لفترة طويلة غير متواجدة علي نحو كاف كمؤسسات بحثية وخدمية. كما أن احتكار الحكومة للإذاعة المسموعة والمرئية، وخاصة التليفزيون، لا يقدم سوي القليل في هذا المجال. وأخيراً تأتي وزارة الثقافة، وخاصة «المركز القومي لثقافة الطفل» التابع لها، والذي لم يدرك إلا متأخراً أن الأطفال العاملين هم أيضاً «أطفال»، ويحتاجون أيضاً إلي «الثقافة» [١١] !.

## (ب) علي المستوي الأهلي (غير الحكومي) :

بداية، لا يمارس النشطاء علي المستوي الأهلي في مصر نشاطهم بالضرورة في انفصال تام عن الحكومة. ويكمن قلب المسألة هنا في هذه الازدواجية المتناقضة حيث هناك «احتياج للحكومة» في مجال «دعم الجهود غير الحكومية» حتي تثمر. وقبل كل شئ، فمصر هي أرض

---

(١٠) بدأ المجلس القومي للطفولة والأمومة في دراسة الموضوع. وقد طلب المجلس من الكاتب إعداد ورقة بحثية كأحد المدخلات في الخطة القومية للطفولة. ثم اتجه لرعاية مجموعة من الأطفال العاملين في إطار مشروعه بمدينة الحرفيين على أطراف القاهرة ثم مشروعه الأحدث في منشاة ناصر.

(١١) أدرك المركز ذلك في ٣٠ إبريل ١٩٩٥، عندما قام بتنظيم محاضرة عامة حول موضوع «الأطفال العاملون والثقافة» !.

الحكومة المركزية القوية.

ولا يمتلك النشطاء علي المستوي الأهلي سلطة إصدار تشريعات، ولكن بإمكانهم الدفاع عن مبادئ وسياسات، وكذلك تحبيذ تشريعات بعينها. وإذا ما تحرك أولئك النشطاء «كجماعة ضغط»، فبإمكانهم إحراز بعض نتائج ودفع الحكومة للحركة في اتجاهات تتسق مع مواقفهم. وإذا ما أخفقوا أو لم يحققوا سوي القليل علي المستوي القومي الكبير Macro، فما تزال الفرصة سانحة أمامهم للنجاح علي المستوي الصغير Micro. أي من زاوية عمل شئ بمبادرتهم الذاتية وبصرف النظر عن مدي صغر حجمه. وينبغي النظر إلي الاتجاه التشريعي للحكومة لرفع الحد الأدني لسن العمل علي ضوء الضغوط غير الحكومية بالاشتراك مع الضغوط الدولية. وبنفس الكيفية، ينبغي النظر إلي سيولة الموقف فيما يخص عمل الأطفال في الزراعة علي ضوء قلة الضغوط المبذولة.

علي أن الساحة الأساسية لمجال تحرك النشطاء علي المستوي الأهلي يمكن إيجازها في كلمة واحدة : الرعاية. فالرعاية بكل معانيها (الإنسانية، التعليمية، الطبية، الترويحية ... الخ) هي بمثابة تحد يهدف إلي تحقيق شئ من الخدمة العينية للأطفال العاملين، وهو شئ يقف دون تحقيق حلم التخلص من عمالة الأطفال بالكامل. ومع ذلك، فالرعاية لها مشاكلها الفلسفية. إذ يمكن أن تسهم الرعاية، من وجهة نظر البعض، في ديمومة عمالة الأطفال بدلاً من القضاء عليها. وذلك من زاوية أن الرعاية تؤدي إلي تحسين شروط العمل والمعيشة للأطفال العاملين بما

يؤدي لتشجيعهم علي الاستمرار. وبذلك يصبح الاختيار المطروح هو : إما الرعاية أو النهاية بالنسبة لظاهرة عمل الأطفال. وهو اختيار حدي قد يؤدي عملياً إلي غياب الرعاية وفي نفس الوقت استحالة القضاء علي الظاهرة في الأمد المنظور (١٢) .

علي أية حال، فإن الرعاية التي نتصورها تعد شديدة الجزئية بحيث لا تغري علي إدامة العمل في حد ذاتها. إنها عبارة عن مجرد «تخفيف» الآتي :

الشروط المعيشية السيئة، والاستغلال في العمل، والمعاناة البدنية والنفسية التي يشعر بها أولئك البشر الصغار العاملون. إنها ليست جهداً مؤسسياً قومياً، ولكنها بالأحري مجموعة من مشاريع الرعاية الصغيرة المتناثرة بهدف مساعدة بضعة مئات، وعلي أحسن الأحوال بضعة آلاف، من الأطفال العاملين. كما أن جهود الرعاية ماتزال في مراحلها الأولية من مشاريع ومقترحات. وما أعلنت عنه الحكومة هو تصريح وزير العمل الخاص بأن اللجنة التوجيهية العليا التابعة لوزارته

---

(١٢) تعرض الكاتب مرتين للنقد لاتخاذه موقفاً «محافظاً» يتعلق بالتأكيد علي «الرعاية». المرة الأولي من د. هدي بدران (الرئيس السابق للمجلس القومي للطفولة والأمومة) أثناء اجتماع منظمة اليونيسيف في إبريل ١٩٩٢، والمرة الثانية من المحامي الفرنسي ل. بيكار أثناء ندوة عمالة الأطفال التي نظمها المجلس العربي للطفولة والتنمية مع منظمة العمل الدولية بالقاهرة في ديسمبر ١٩٩٤ .

قد قررت إنشاء برامج خدمات متكاملة للأطفال في الوحدات الإنتاجية (١٣) . أما ما يعنيه ذلك التصريح في الواقع العملي، فتندر المعلومات بشأنه.

وهناك جهد آخر حكومي وغير حكومي مشترك يتأسس علي ما عرف باسم «مسودة أغسطس ١٩٩٤» (١٤) . وفيها تتضافر جهود وزارة العمل، واتحاد العمال، واتحاد الصناعات، ومنظمة اليونيسيف، وذلك لتقديم الرعاية للأطفال العاملين في ثلاثة أحياء بالقاهرة والإسكندرية. وقد قدمت منظمة اليونيسيف التمويل والتدريب، وتولي اتحاد الكشافة واتحاد الشباب باتحاد العمال التنفيذ. ولم يتحدد بالمسودة عدد الأطفال الذين سيحصلون علي الخدمات. وتأكيداً علي الطبيعة الجزئية للمشروع، فإن الأطفال سيحصلون علي الجزء الأكبر من الخدمات المقترحة في يوم الأحد، وهو يوم إجازتهم الأسبوعية.

إن خمير المشروع المشار إليه عاليه هي مشروع «اليونيسيف ـ الكشافة» المشترك في منطقة أبو الدرداء الصناعية بالإسكندرية، والذي بدأ في يناير ١٩٩٣ . وقد تباهي أحد مسئولي منظمة اليونيسيف بأن المشروع قد اجتذب ٧ أطفال في أول يوم أحد، وانتهي إلي ٣٥٠ طفلاً

---

(١٣) جريدة الأهرام، ١٦ / ٢ / ١٩٩٥ .
(١٤) نسخة المسودة.

في باكورة عام ١٩٩٥ [١٥] . ومن ثم، وطبقاً لأقوال نفس المسئول [١٦] ، تم نقل التجربة إلي شبرا وعين حلوان بالقاهرة في منتصف ١٩٩٤، حيث أمكن التوصل إلي ما يزيد عن ٧٠٠ طفلاً (٣٠ ٪ منهم فتيات).

إن مشروع اليونيسيف ـ الكشافة (والذي تباركه الحكومة من خلال وزارة العمل طبقاً لمسودة أغسطس والذي تم استكماله بمشاركة اتحاد الشباب التابع لاتحاد العمال) قد وجد أهميته في كونه أول مشروع ينفذ لرعاية الطفولة العاملة ولو جزئياً [١٧] . ويليه مباشرة مشروع «مركز الجيل» المسمي «مشروع الرعاية الجزئية للطفولة العاملة» والذي بدأ تنفيذه بصورة متقطعة خلال عام ١٩٩٥ حيث اعتمد علي التمويل الذاتي قبل حصوله علي دعم عيني خارجي محدود شرع معه في انتظام تقديم الرعاية للأطفال العاملين بمنطقة مصر القديمة مع بواكير

---

(١٥) إيمان بيبرس، برنامج الأطفال في ظروف صعبة ـ تقديم تجربة اليونيسيف، ورقة مقدمة لندوة عمل الأطفال، وزارة العمل، مارس ١٩٩٥ .

(١٦) نفس المصدر.

(١٧) يتحفظ البعض علي إطار رعاية الطفولة العاملة من خلال نظم الكشافة ـ الشبيهة بالنظم العسكرية.

عام ١٩٩٦ [١٨].

والأمر الأكثر أهمية هو أن مشاريع الرعاية الجزئية لا تمثل سوي نشاطاً جزئياً من أنشطة المنظمات غير الحكومية، التي تمارس أنشطة أخري إلي جانب محاولتها تقديم الرعاية للأطفال العاملين. ولا توجد في مصر أي جمعية أهلية أو منظمة غير حكومية مكرسة تماماً للأطفال العاملين بين حوالي ١٤٠٠٠ جمعية أهلية مشهرة (يوجد علي وجه الحصر جمعية أهلية واحدة تعمل في مجال «أطفال الشوارع»)! وعند هذا المستوي المحدود من رعاية الطفولة العاملة فإن قضية مشاركة الأطفال العاملين في

---

(١٨) قدم «مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية» المشروع إلي منظمة اليونيسيف في سبتمبر ١٩٩٣، ولكنه فشل في تأمين دعم اليونيسيف. وقدم المشروع بعد ذلك إلي المجلس العربي للطفولة والتنمية ومنظمة العمل الدولية، ولم يحظ بالدعم كذلك فتم تقديمه «لبرنامج الغذاء العالمي» وكاد أن يحصل علي دعم من هذا المصدر لكن هذا أيضاً لم يحدث. وكان أول دعم عيني يصل للمشروع أواخر ١٩٩٥ من طرف «الملحقية الفرنسية للشئون الطبية والإنسانية» تلاه دعم عيني آخر في صورة أجهزة ومعدات قدمتها الصناديق الخيرية لسفارات إنجلترا وألمانيا واليابان بالقاهرة. كذلك عرضت وزارة العمل أن يكون المشروع تحت إشرافها ويدرج ضمن المشروعات التي يمولها «البرنامج الدولي للقضاء علي عمل الأطفال». لكن مركز الجيل ارتأي أن يبقي المشروع أهلياً بحتاً. وقد استمر المشروع لمدة خمس سنوات متصلة اعتمد فيها على التبرعات المحدودة والعمل التطوعي للشباب.

رعاية أنفسـهم تصبح أمراً سابقاً لأوانه في السياق المصـري، علي خـلاف الحـال في دول أخـري مـثل الهند سبقت في مشروعات الرعاية والمشاركة [١٩] .

ولتقديم موجز لما سبق، يمكن القول إن النشطاء علي المسـتوي الأهلي في مصـر يحـملون وجـهـات نظر «قـوية» ولكن لديهم أفعـالاً «ضـعيفة» في مواجـهة قضـيـة عـمل الأطفال. ويمكن استكمال جهدهم «غير حكومي» بتقديم حوافز «حكومية» لأصـحاب العمل بالقطاع الخاص حتي يمنحوا الأطفـال العـاملين لديهم مـزيداً من الرعـاية، هذا بخلاف معاقبتهم عن انتهاكاتهم الصارخة للقانون. وبهذه الكيفية، يمكن أن يشكل أصـحاب العمل جزءاً من الجـهد غير الحكومي المبذول لمعالجة المشكلة، علي الأقل بالتخفيف من وطأة استـغـلالهم للأطفـال العـاملين. حيث أن أفـضل خـدمة تقدم للأطفال العاملين هي تحسين شروط وبيئة العمل نفسه. وبإيجاز، فقد وضـع المدير العام لمنظمة العمل الدولية عريضـة للتحسينات المرغوب إدخالها في شروط العمل الخاصة بالأطفال العاملين، وهي علي النحو التالي :

*«ينبغي بذل جهود خاصة لضمان عدم توظيف الأطفال في ظل شـروط تشـمل اسـتـخـدام المواد أو الأدوات أو*

---

(١٩) مثلاً مشروع الرعاية والمشاركة للطفولة العاملة في مدينة بنجالور Bangalore بولاية كارناتاكا الهندية والذي تشرف عليه السيدة ناندانا ريدي Nandana Reddy رئيسة «المجموعة الدولية لعمل الأطفال» (غير حكومية) IWGCL .

*العمليات الخطيرة، أو رفع أوزان ثقيلة، أو العمل تحت الأرض. كما ينبغي أن يولي اهتمام خاص بالبند المتعلق بعدالة المكافأة التي يحصلون عليها وحمايتها، ووضع حدود صارمة علي ساعات العمل اليومية والأسبوعية، ومنع العمل الإضافي، ومنح فترة حد أدني متصلة من الراحة قدرها ١٢ ساعة ليلاً، بالإضافة إلي أيام الراحة الأسبوعية المعتادة، فضلاً عن منح إجازة سنوية مدفوعة الأجر لمدة ٤ أسابيع علي الأقل، ولا تقل بأي حال عما يمنح للكبار، وتحقيق تغطية تأمينية تتضمن إصابات العمل والرعاية الطبية والمزايا التي تقدم في حالات المرض، علاوة علي الحفاظ علي مستوي مرضي من الأمان والصحة»* [٢٠] .

ومع كل هذا، فهناك فجوة حقيقية بين «المرغوب» تحقيقه وبين ما هو «ممكن» عملياً في الحالات المحددة، كما هو الوضع بالنسبة لموقع عمل المدابغ في مصر القديمة : فهناك لا يمكن تحقيق أي تحسينات واقعية ملموسة دون الانتقال إلي موقع عمل جديد كلية [٢١] . في

---

(٢٠) Report of the Director - General, ILO, Geneva, 1983, p. 29 - 30.

(٢١) جري الحديث لسنوات طويلة حول نقل مدابغ مصر القديمة إلي موقع جديد أكثر ملاءمة. ويبدو أن هذا سيتجسد أخيراً بالشروع في نقلها إلي مدينة بدر بعد قرن من الزمان تقريباً !.

هذه الحالة هناك حاجة شديدة للدعم الحكومي، وفي بعض الحالات الأخري قد توجد الحاجة أيضاً إلي هذا الدعم ولكن علي نطاق أقل. ولكن في كل الأحوال، هناك حاجة إلي المساهمة الحكومية، سواء في شكل الدعم المباشر أو الحوافز غير المباشرة، وذلك لإتاحة الفرصة لأصحاب العمل أن يصبحوا جزءاً من الجهد غير الحكومي الذي يواجه المشكلة. أي باختصار أن ينخرط النشطاء، علي المستوي الحكومي وغير الحكومي، في تنفيذ سياسة «عمل شئ عيني» أكثر من الانغماس في مناقشات نظرية حول الفلسفة والمصطلحات : الرعاية، المكافحة، الحد من، القضاء علي ... الخ !.

## (جـ) علي المستوي الدولي :

يبدو واضحاً من الإشارات السابقة لمنظمة اليونيسيف ومنظمة العمل الدولية وجود دور للأطراف الدولية في مجال مكافحة عمل الأطفال في مصر، كما يفعلون في دول أخري. وهناك أيضاً المنظمات الإقليمية غير الحكومية (أو بالأحري نصف الحكومية) مثل «المجلس العربي للطفولة والتنمية»، والذي يتخذ من القاهرة مقراً له. وفي واقع الأمر، يمكن التعبير عن «الاهتمام الدولي» بقضية عمل الأطفال في مصر بصورة صحيحة بالإشارة إلي المثلث التالي : منظمة اليونيسيف، منظمة العمل الدولية، المجلس العربي للطفولة والتنمية. إن هذه المؤسسات الثلاث هي التي تقود عملية الدفع للاهتمام بالموضوع، وتسير في ركابها المؤسسات القومية، الحكومية منها وغير الحكومية. وبالرجوع إلي تصنيفنا السابق بشأن العلامات

البـارزة في مـجـال دراسـة عـمل الأطفـال في مـصـر (الشرارة، الذروة، الربط)، علينا أن نعترف أيضاً بأن كل علامة من هذه العلامات كانت مقترنة بواحدة من المنظمات الثلاث المذكورة : ساهمت منظمة العمل الدولية في البحث المعبر عن شرارة الانطلاق، وساهمت منظمة اليونيسيف في البـحث المعبـر عن الذروة، وسـاهم المجلس العـربي للطفولة والتنميـة (مع منظمـة العمل الدوليـة) في البـحث الرابط أو الدراسة التركيبية.

لقد اختـارت منظمـة العـمل الدوليـة مـصـر منذ عـام ١٩٩٢ لتكون من بين الدول التي يشملها «البرنامج الدولي للقضاء علي عمل الأطفال»

International Programme for the Elimina tion of Child Labour (IPEC) (٢٢)

وبدأت في تدريب مـوظفـيـهـا الحكومـيـين وخـصـوصـاً مفتشي العمل في هذا الإطار (٢٣) كما عقدت وزارة العمل في نفس الإطار ثلاث ندوات حول موضـوع عـمل الأطفال بصـورة مـتـتـابعـة في مـارس ١٩٩٥ ثم سـبـتـمـبـر ١٩٩٥ وأخيراً ديسمبر ١٩٩٥ . ثم المزيد من الندوات حتى نهاية العقد.

---

(٢٢) IPEC Programme Document.

(٢٣) إصلاح أمين، مرجع سابق. تم تدريب سبعين من مفتشي العمل من خلال دورتين تدريبيتين عقدت كل واحدة لمدة أسبوع في مايو ١٩٩٤ .

ولهذا كله فإن عمل الأطراف الدولية في هذا المجال داخل مصر يستحق الثناء بشكل عام. وما يضفي علي هذا العمل أهمية أمران : القدرة التنظيمية التي تعمل علي استمرار الاهتمام بالقضية (٢٤) ، والتمويل الذي لا يمكن العمل بدونه. وربما كان الأكثر أهمية إضافة إلي ذلك هو حساسية الأطراف المحلية الحكومية وغير الحكومية تجاه الضغوط الدولية. وربما يفسر ذلك سبب وضع وزير العمل «لوحدة عمل الأطفال» حديثة النشأة داخل إدارة «العلاقات الدولية» في وزارة العمل. بل وربما كانت الصلة الدولية هي سبب زيادة نشاط هذه الوحدة في الآونة الأخيرة مع تصاعد الاهتمام الدولي بموضوع عمل الأطفال. ومع تهديد حكومة الولايات المتحدة بمنع وصول السلع التي تساهم عمالة الأطفال في إنتاجها إلي السوق الأمريكي (٢٥) (المقاطعة الفعلية التي تدفع إليها كذلك منظمات غير حكومية أوربية وأمريكية)، فإن الحكومة المصرية يمكن أن تكون حتي أكثر حساسية ونشاطاً إزاء هذا الموضوع. وهذه أيضاً قضية ضاغطة بالنسبة

---

(٢٤) وخاصة من خلال اجتذاب خبراء محليين جيدين مثل عادل عازر الذي انتقل من المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية إلي منظمة اليونيسيف.

(٢٥) راجع الوثيقتين الأمريكيتين :

US Department of Labour, By the Sweat and Toil of Children, July 1994, Letter of Sonia Rosen, Director of the International Child Labour Study, 17 March 1995.

للنشطاء علي المستوي غير الحكومي [٢٦] .

ومع ذلك فإن هذه الحساسية «الإيجابية» تقترن بحساسيات «سلبية». فالمنظمات الدولية موجودة لغرض إعمال المعايير الدولية باستخدام سياسة الجزرة والعصا . ويمكن أن تتعارض المعايير الدولية مع الحقائق القومية والمحلية، كما يحدث عادة. فيصبح الدفاع عن «الخصوصية» و «السيادة الوطنية» [٢٧] هو رد الفعل المعتاد والذي يشكل أحياناً علامة علي اليأس [٢٨] . إن

---

(٢٦) هناك صراع علي المستوي الدولي بين القوي الداعية لمقاطعة السلع المنتجة بواسطة عمل الأطفال (معظمها غربية حكومية وغير حكومية) والقوي الداعية لرعاية الطفولة العاملة دون استخدام سلاح المقاطعة الذي سيؤثر تأثيراً سلبياً علي اقتصاديات الدول النامية كما قد يؤدي لتدهور أحوال الطفولة العاملة وتحويلها لطفولة مشردة ! ومن نماذج الصدام حول هذا الموضوع تلك المواجهة التي تمت بين أعضاء «المجموعة الدولية لعمل الأطفال» (ومنهم الكاتب) الرافضين للمقاطعة وقيادات «الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة» المؤيدين للمقاطعة، في ندوة بأمستردام، أكتوبر ١٩٩٥ .

(٢٧) حول موضوع السيادة الوطنية انظر للكاتب : نحن والعالم الجديد، دار المحروسة، القاهرة ١٩٩٦ .

(٢٨) علي سبيل المثال، شهدت لجنة عمل الأطفال، تحت رئاسة عادل عازر، في اجتماع منظمة اليونيسيف، نوفمبر ١٩٩٤ تياراً قوياً من الآراء يؤكد علي الحقائق القومية والمحلية تقريباً لدرجة نبذ المعايير الدولية !.

القدرة علي تحقيق التوازن بين المعايير الدولية والحقائق القومية والمحلية إنما تمثل تحدياً للأطراف المعنية بقضية الطفولة العاملة، حكومية كانت أم أهلية.

ومن الناحية الأخري، قد تمارس المنظمات الدولية دوراً إفسادياً للنخبة القومية. فالمواقع الوظيفية عالية الأجر، والمكافآت السخية، تغذي روح النفعية والمسايرة والتخلي عن المواقف النقدية بالنسبة للبعض. كذلك فإن ترويج بعض الموظفين الدوليين للعمل المظهري وخلق جماعات من التابعين المحليين، أي «الشلة» بالعامية المصرية، يأخذها إلي ساحة ممارسة النفوذ المبتذل بسياسة المنح والمنع. كما أن أسلوب العلاقات العامة [(٢٩)] والمؤتمرات الطنانة يضعنا علي طريق الاستعراضات السياحية وليس علي طريق التنمية الحقيقية. وفي بعض الحالات، لا تكون هناك أدني صلة بين ما يدعيه بعض الموظفين الدوليين وأتباعهم المحليين وبين القضية التي يفترض فيهم القيام بخدمتها. وفي النهاية قد لا يصل أي مليم من عملتهم الصعبة إلي الناس المخصصة لهم هذه الأموال ! وهناك المزيد الذي يمكن قوله في هذا الجانب السلبي، دونما إنكار للجوانب الإيجابية في عمل الأطراف الدولية. ويكفي أن نقول إنه في الوقت الذي تقوم فيه هذه الأطراف الدولية بأعمال

---

(٢٩) هناك مثال علي أسلوب «العلاقات العامة» هو تغطية صحيفة الأهرام هدي المهدي لأعمال اليونيسيف في مجال عمالة الأطفال، حيث تقوم بتمجيد دور أحد مسئولي اليونيسيف علي وجه الخصوص ' (مثلاً الأهرام، ١٩ / ١٢ / ١٩٩٤).

جيدة لمساعدة مصر في مجال مواجهة مشكلة عمل الأطفال وغيرها من مشاكل التنمية، فإن على هذه الأطراف أيضاً أن تبذل جهداً لمعالجة عيوبها الخاصة، بجانب عيوبنا نحن .. خصوصاً ونحن بصدد مواجهة مسألة ذات أبعاد إنسانية واضحة مثل قضية الطفولة العاملة !.

## ٦ - مقترحات للمستقبل

إن الإجراءات «الواقعية» أو «غير المستحيلة» التي يمكن لنا أن نقترحها في مواجهة ظاهرة عمل الأطفال، نوردها على الوجه التالي :

١ - يلزم على وجه العجلة تأسيس «مراكز الرعاية الجزئية للطفولة العاملة» في مناطق تكثف عمالة الأطفال. وفي مثل هذه المراكز مختلفة الأحجام يتلقى الأطفال العاملون ولو مرة واحدة في الأسبوع (يوم العطلة) معاملة إنسانية تتيح لهم اللعب وممارسة الهوايات والاستمتاع بالفنون، بجانب الحصول على وجبة طعام كاملة (قد يكونون محرومين منها خلال الأسبوع حيث ينتشر سوء التغذية بينهم) وكذلك الجلوس في فصول لمحو الأمية ترغيباً لا ترهيباً، وأخيراً تلقي العلاج المجاني ومتابعة حالاتهم الصحية التي هي سيئة في معظم الحالات. وهو ما يستلزم علاقة طيبة بين هذه المراكز وأسر الأطفال العاملين. لكنه يلزم أولاً توفير الموارد اللازمة لتأسيس هذه المراكز الممكن أن تمثل ملحقاً للجمعيات الأهلية الموجودة في مناطق تكثف عمالة الأطفال. ويمكن توفير الموارد اللازمة بتعبئة الطاقة المحلية (أموال حكومية بجانب تبرعات وزكاة فاعلي الخير) جنباً إلى جنب مع العون الدولي من هيئات المعونة الدولية (خصوصاً من تلك الدول

التي تهدد بمقاطعة البضائع المشتملة على تشغيل الأطفال، على نحو ما ذهبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية).

٢ ـ من الضروري «التأمين» علي الأطفال العاملين ضد إصابات العمل والمخاطر المهنية وإمكانية الوفاة أثناء العمل أو بسببه. ولما كان القانون المصري لا يسمح بالتأمين علي العامل قبل بلوغه سن ١٨ سنة، فيلزم هنا تغيير القانون نفسه وعدم ربطه بحد أدنى لسن العامل المؤمن عليه. ويمكن كخطوة أولى ربط التأمين بالحد الأدنى لسن العمل ١٤ سنة، وإن كان الموقف الواقعي هو تغيير القانون بحيث يسمح «بالتأمين على أي طفل يعمل في أي سن» وعدم ربط التأمين بالحد الأدنى لسن العمل، ولو بجعله تأميناً على الحياة لتفادي التناقض مع التحديد القانوني لسن العمل.

٣ ـ الحد الأدنى لسن العمل لابد أن يبقى إلزاماً قانونياً، كما يلزم رفعه للمستوى الدولي (١٥ سنة)، مع تطبيق القانون بصرامة دون تذرع بالضرورات الاجتماعية التي تبيح المحظورات القانونية. إلا أن إدراك تعقيدات العلاقة بين الضرورات والمحظورات يستلزم قبول مبدأ «الاستثناء المحكوم». وهو ما يعني السماح بعمل الأطفال دون السن القانونية استثناء، وعلى قاعدة «حالة بحالة» (أي للأفراد لا للكتل)، وتحت الإشراف المباشر للسلطات المسئولة. ومؤدي ذلك إعطاء «إذن خاص» بعمل الطفل الفرد بعد استيفاء التالي :

أ ـ عمل فحص اجتماعي لأوضاع الأسر الراغبة في أن يعمل أطفالها، وذلك بواسطة اخصائيين اجتماعيين مفوضين من السلطات الرسمية.

ب ـ دفع رسوم (مرة واحدة أو دورياً) بواسطة أصحاب الأعمال المتقدمين بطلبات عمل للأطفال لديهم.

ت ـ يخضع الطفل العامل بإذن خاص لإشراف دوري من قبل السلطات.

٤ ـ الرسوم المدفوعة من أصحاب الأعمال، بجانب التبرعات المحلية والمعونات الدولية. تذهب لتأسيس وتشغيل هيئة قومية يمكن أن تسمى «الصندوق القومي لرعاية الطفولة العاملة». ومن موارد هذه الهيئة يتم دعم مراكز الرعاية الجزئية للطفولة العاملة ومساعدة الأطفال العاملين وأسرهم على وجه العموم.

٥ ـ مع إتاحة الاستثناء لعمل الأطفال بإذن خاص فإن أصحاب الأعمال الذين يتجاهلون هذا التسهيل القانوني ويقومون بتشغيل الأطفال من وراء ظهر القانون لابد أن يلقوا معاملة صارمة تتضمن تطبيقاً حازماً للقانون بما يحتويه من دفع وحبس. ولضمان تطبيق سياسة «العصا والجزرة» على هذا النحو يلزم فصل «تفتيش عمل الأطفال» عن التفتيش العام للعمل، بحيث يصبح كياناً قائماً بذاته وبه عدد كاف من المفتشين المدربين ذوي المرتبات والحوافز المعقولة التي تضمن نظافة يدهم وجدية تطبيقهم للقانون.

٦ ـ من الضروري تأسيس نظام «التحفيز والاستعاضة» يتم بموجبه التعويض المالي عن دخل الطفل العامل (بنسبة ٥٠ ـ ٧٥٪ مثلاً) لتلك الأسر التي تكون مضطرة لإرسال أبنائها للعمل لكنها تفضل إبقاءهم في المدرسة مقابل التعويض المالي. وهو ما يمكن أن يسمى «نظام المبادلة» الذي يمكن تمويله من الصندوق القومي لرعاية الطفولة العاملة.

٧ ـ ثمة صورة أخرى «لنظام المبادلة» يتم فيها هذه المرة تحفيز المجتمع نفسه (وليس الحكومة فقط) للعب دور إنساني واجتماعي في مواجهة ظاهرة عمل الأطفال. ويقصد بذلك اقتراح «نظام التبني غير المباشر» الذي بموجبه تقوم الأسر القادرة برعاية الأطفال المضطرين للعمل مقابل بقائهم في المدرسة مع استمرار عيشهم مع أسرهم الأصلية. فتتبنى الأسرة الغنية طفلاً واحداً لأسرة فقيرة تدفع له (إذا استمر في المدرسة) ٥٠ ـ ٧٥٪ من دخله المحتمل إذا ذهب للعمل.

٨ ـ تأسيس نظام للحوافز والتسهيلات الاقتصادية والمالية لأصحاب الأعمال (تسهيلات ضريبية وائتمانية وتدريبية ... الخ) تشجعهم على تشغيل العاطلين البالغين بدلاً من الأطفال. وقد يلعب البنك المركزي دوراً في صياغة سياسة ائتمانية مشجعة لذلك. وبذلك يمكن خلال ١٠ ـ ١٥ سنة التخلص من عمل الأطفال في القطاع الحضري (الصناعات والحرف).

٩ ـ مع تفهم احتياج القطاع الزراعي لزمن أطول، فإنه من الضروري تقنين عمل الأطفال فيه بنظام «الاستثناء الفردي المقنن» (طبقاً للبند ٣) لا بنظام «الاستثناء الجماعي المطلق» كما هو الحال في قانون العمل الحالي.

١٠ ـ أخيراً يمكن لجهاز «التليفزيون» (وهو احتكار حكومي ويصل لـ ٩٠٪ من المواطنين) أن يلعب دوراً تعبوياً متميزاً للتأثير على الرأي العام وكل الأطراف المرتبطة بموضوع عمل الأطفال في اتجاه تقليص الظاهرة ورعاية ضحاياها. إن من الممكن لهذا الجهاز المؤثر أن يلعب دور الجندي الباسل الذي يجر خلفه جيشاً من المقاتلين ضد استغلال الطفولة العاملة (ملحوظة: لم يعرض التلفزيون المصري حتى الآن الفيلم التسجيلي «الطفولة المكبلة» الذي يتناول عمل الأطفال في خمس دول من بينها مصر وعرض في العشرات من محطات التلفزيون في العالم).

وأخيراً فإن شيئاً عينياً يمكن أن ينجز في صدد مكافحة ظاهرة عمل الأطفال ورعاية الطفولة العاملة إذا ما ركز المعنيون علي برنامج زمني يحاولون بموجبه تجسيد ولو خطوة واحدة في العام الواحد، ثم تقييم ما تم إنجازه بالفعل في نهاية العام لاستكمال النقص والانتقال لخطوة جديدة في العام التالي. وبذلك يكون إعمال مثل المقترحات السابقة مسألة قابلة للإنجاز في غضون أفق زمني مداه ١٠ ـ ١٥ سنة. أما مجرد «الكلام» في الموضوع بنفس «المفردات» و «الادعاءات» في «كل لحظة» وداخل نفس «الندوات» و «التقارير» فمعناه الفشل المحتوم سلفاً رغم

الإمكانية الواقعية للنجاح المتدرج في تخفيف آلام المحرومين .. الصغار والكبار ! .

# تحت الطبع

- السيد المسيح عابر سبيل أم صانع تاريخ - حنا عبد المسيح.
- مصر وعصر المعلومات - عبد الخالق فاروق.
- محاضرات في فلسفة الدين - هيجل (٩ أجزاء)
  ١ - مدخل إلى فلسفة الدين - ترجمة د. مجاهد عبد المنعم مجاهد
  ٢ - فلسفة الدين - ترجمة د. مجاهد عبد المنعم مجاهد
- الجامع والجامعة - د. أحمد عبدالله رزه
- أطفال برتبة عمال - د. أحمد عبدالله رزه
- الأطفال الكادحون - د. أحمد عبدالله رزه
- الطلبة والسياسة - د. أحمد عبدالله رزه
- الخلاص بالفن - د. حسن حماد
- فلسفة الدين عند كيركجارد - د. حسن يوسف
- جدل الحب والحرب - هيرقليطس
- اكتشاف الطفل - د. ماريا مونتيسوري
- العقل المستوعب - د. ماريا مونتيسوري

مطبعة : بي أتشرو برس

ت : ٤٩٣١٨٣٥

# مشروع الرعاية الجزئية للطفولة العاملة

## Project of Partial Care for Working Children ( PCWC )

- يعمل آلاف الأطفال (سن ٥-١٥ سنة) في مثلث مصر القديمة الذى يتكون من ثلاث مناطق صناعية :

**الفخارية - المدابغ - الورش.**

- ينتمى هولاء الأطفال لأسر فقيرة معظمها مهاجر من الريف وتعيش فى العزب المحيطة بهذه المناطق الصناعية.

يقع مركز الجيل على مقربة من هذا المثلث ويقوم بالدراسة العملية لهولاء الأطفال العاملين.

- يقوم المركز ايضاً بتقديم خدمة [illegible] لبضعة عشرات من هولاء الأطفال من خلال مشروع الرعاية الجزئية للطفولة العاملة.

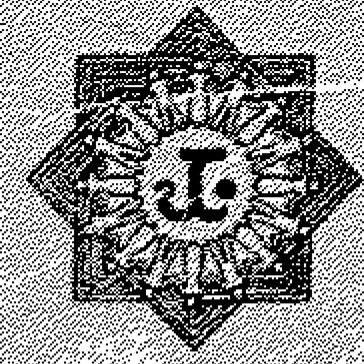
يحضر الأطفال يوم أجازتهم إلى المركز ويقضون يوماً كاملاً كل اسبوع . حيث يتاح لهم الآتى :

- [illegible]رسة الألعاب الرياضية والعاب التمثيلية.
- ممارسة الهوايات الفنية.
- مشاهدة التليفزيون والفيديو والسينما و المسرح والعرائس.
- تناول وجبة طعام كاملة.
- الكشف الطبى والعلاج المجانى.

- في المناسبات والأعياد يوفر المركز لهولاء الأطفال هدايا من الملابس واللعب والنقود.
- يقوم المركز بالرعاية النفسية للأطفال ومحاولة حل مشاكلهم العائلية.
- يوفر المركز خدمة محو الأمية واستكمال التعليم لمن يرغب منهم.

- يهدف المركز من كل هذا إلى تعويض هؤلاء الأطفال ولو جزئياً عن الحرمان الذي يعرفونه في مجال العمل والأسرة والحياة عموماً.
- يعتمد المركز على نفسة وعلى مساعدات فاعلي الخير لتقديم هذه الخدمة المجانية لهؤلاء الأطفال المستحقين.

**فساعدنا [illegible]**
**(بالمال . [illegible]**
**القديمة و[illegible]**
**واللعب [illegible]**
**تستت[illegible]**



مركز الجيل
للدراسات الشبابية والاجتماعية

AL - JEEL Center
FOR Youth & Social Studies